الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

Université Chadli Bendjedid d'El Tarf

الرقم التسلسلي: .....

مذكرة تخرج ضمن متطلبات لنيل شهادة الماستر

تخصص: لسانيات تطبيقية

تحت عنوان:

الاستعارة المفهومية في المستوى الدلالي– البيان والتبيين للجزأين الأول والثاني أنموذجا

إعداد الطالبة:

مريم علالي

إشراف الدكتورة:

سمية عامر

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
د. هدى ايت شقديد	رئيسا	**جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف-**
د. فاطمة نصر	مناقشا	**جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف-**
د. سمية عامر	مشرفا	**جامعة الشاذلي بن جديد –الطارف-**

السنة الجامعية: 2026/2025

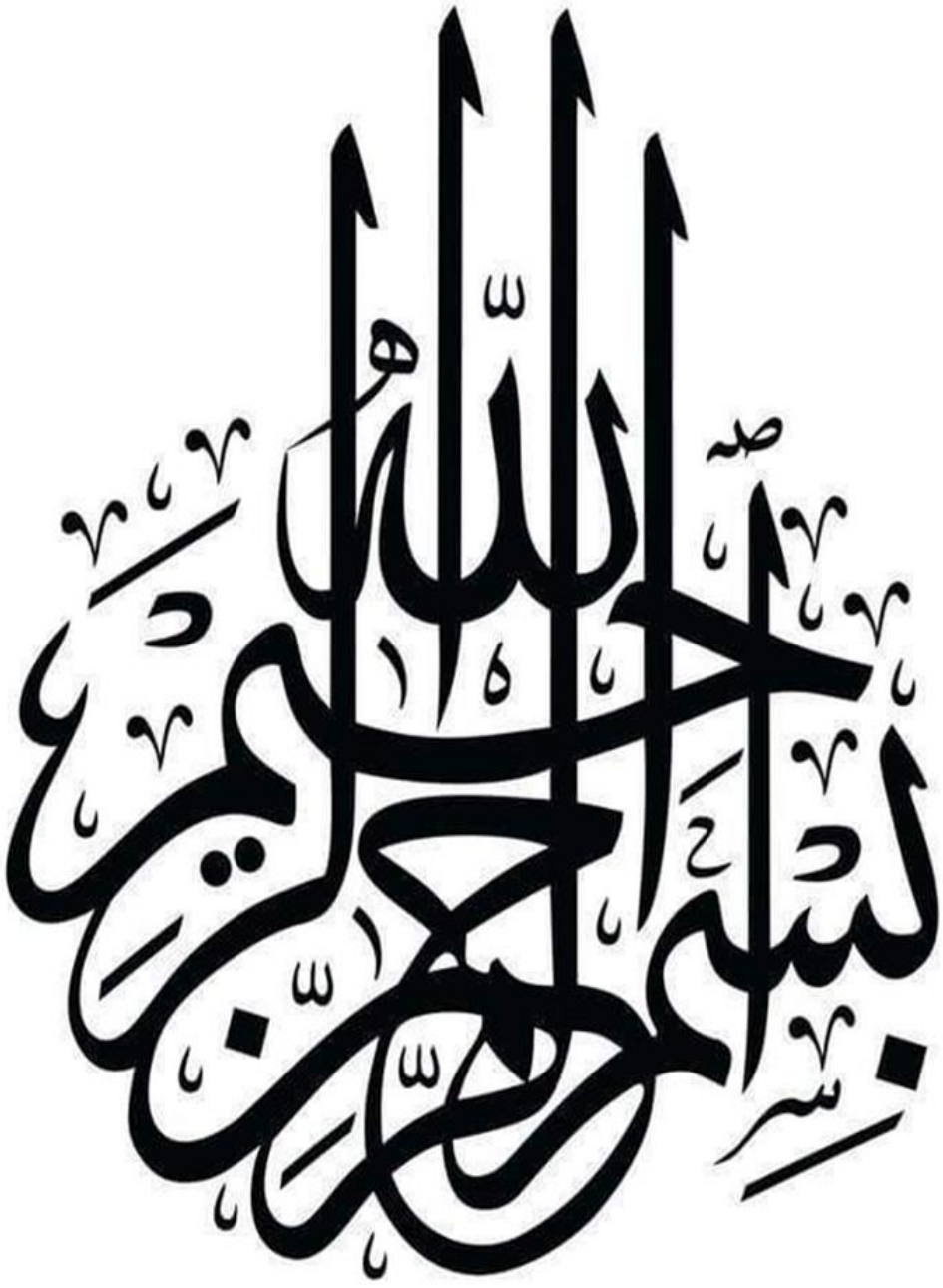
بسم الله الرحمن الرحيم

{وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا }

-سورة طه: الآية 114-

الإهداء

إلى منبع العطاء الدافئ... إلى روح أمي الغالية "رحمها الله" إلى النور الذي أضاء لي دروب الحياة، والقلب الذي نبض بالحب والدعاء ولم يبخل يوما.

إلى من غادرت جسدا وبقت في روحي حية بجميع أثرها وطهر دعواتها، أهدي إليك هذه الثمرة يامن كنتي تحلمين بهذا اليوم... أسأل الله العلي القدير أن يتغمدكي بواسع رحمته وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وأن يجمعني بكي في الفردوس الأعلى

إلى مهجة قلبي وقرة عيني أخي الغالي شمس الدين ، إلى ضحكتي الجميلة وأملي الباسم من أجله تهون كل الصعاب إلى من كان وجوده دافعا لي للتقدم والنجاح وبسمته تزيح عن كاهلي تعب الأيام، أهدي إليك هذا النجاح يا أخي الغالي متمنيا لك مستقبلا مشرفيا يحاكي طهر قلبك

إلى سندي وعزوتي... إخوتي الأوفياء إلى أختي الحبيبة والغالية صبرين رفيقة الدرب والقلب الحنون التي شاركتني كل اللحظات وإلى أختي العزيزة وسندي رتاج التي استند عليها في مواجهة الحياة شكرا على حبكما، ودعمكما المستمر وتشجيعكما الذي لم ينقطع طول مسيرتي الدراسية

إلى رفقاء الحرف والمسيرة .... زملائي الأعزاء إلى من قاسمتهم مقاعد الدراسة، وتشاركنا معا شغف العلم، وتحديات السهر وحلاوة الإنجاز.

إلى كل الزملاء و الزميلات التي تركت أيامهم في نفسي أثرا طيبا وذكريات لاتنسى، أتمنى لكم جميعا توفيقا دائما ونجاحا مستمر في حياتكم العلمية والعملية، وأشكر اللجنة الموقرة لتكبدها عناء قراءة المذكرة، في موازين حسناتكم.

الطالبة

علالي مريم

مقدمة

الحمد لله الذي جعل اللسان عنوان عقل الإنسان وألهمه الحكمة والبيان.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الكرام وبعد:

تُعَدّ اللسانيات العلم الذي استطاع الاهتمام بالعديد من اللغات الإنسانية، حيث تدرس اللغة دراسة علمية، وتقوم على دراسة خصائصها وتراكيبها؛ أي تدرسها دراسة شاملة، وهي من العلوم المهمة التي جعلت اللغة أساساً لها.

واللسانيات هي مجموعة من العلوم المختلفة التي تفرعت عنها الدراسة العلمية للغة، وتنقسم قسمين: اللسانيات العامة واللسانيات التطبيقية، والتي يستعمل اللسانيات الجغرافية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية، والتعليمية، وهذا الفرع الأخير وقع عليه اختيار الدراسة فأردت البحث عن ملامحها في التراث العربي فجاء موضوعي موسماً بـ : "**الاستعارة المفهومية في المستوى الدلالي- البيان والتبيين للجزأين الأول والثاني أنموذجا**".

ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية التالية :**اين تكمن تجليات الاستعارة المفهومية عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين؟**

وتتفرع عن السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي:

- **ما مفهوم الاستعارة المفهومية في دراسات اللسانية العرفانية وما اهم اسسها النضرية؟**
- **كيف تسهم الاستعارة المفهومية في تشكيل الدلالة داخل النص الجاحظي؟**
- **الى أي مدى تتوافق الإستعارات الواردة عند الجاحظ مع تصورات التي تقدمها اللسانيات العرفانية الحديثة؟**

وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب ذاتية وموضوعية، فأما الذاتية فهي الرغبة في إحياء ولو جزء من هذا التراث العربي، وكذلك لبيان قيمة الفكر العربي الموضوعي ومكانته، أما الموضوعية فهي الكشف عن ملامح التعليمية في مؤلفات الجاحظ في كتابه البيان والتبيين الذي يحوي الكثير من الظواهر اللغوية، كما أنه يضم مادة علمية ثرية تستحق الدراسة.

تهدف الدراسة إلى البحث عن مصطلحات التعليمية ومفاهيمها في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، والتأصيل لهذه المصطلحات من خلال ما جاء في الدرس اللغوي الحديث، وللدراسة أهمية تكمن في بيان أسبقية الدرس اللغوي العربي القديم في مجال التعليمية.

ولبلوغ أهداف الدراسة ومن أجل الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها اعتمدت في إنجاز هذا البحث خطة إجرائية، وقد قسمتها فصلين بمراعاة المقدمة والخاتمة فيها، وهي:

الفصل الأول: الدراسة التصورية ومفاهيمها بين الدلالة والعرفان، وفيه ذكرت مفهوم علم الدلالة ومعارفها وإلى جانب الحديث عن شخصية الجاحظ العلمية والأدبية.

ثم التعريف بكتاب البيان والتبيين وأسلوب الجاحظ فيه.

الفصل الثاني: تجليات الاستعارة المفهومية في كتاب البيان والتبيين، وقد خصصت هذا الفصل للجانب التطبيقي حاولت تتبع تفاصيل الكتاب لاستخراج بعض نماذج الاستعارة المفهومية وتوضيحها،

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الملائم لوصف مبادئ الاستعارة التصورية وخطاطة الصورة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ واستعنت بأداة التحليل في الجانب التطبيقي خاصة في توضيح المفاهيم وبيانها.

وسبقت الدراسة بالعديد من الدراسات القريبة منها :مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد4، العدد3، سبتمبر2021 .المصطلح اللساني عند الجاحظ البيان والتبيين دراسة صوتية تطبيقية، علالي مريم، جامعة الآداب واللغات الاجنبية قسم اللغة العربية وادابها، جامعة الطارف الشاذلي بن جديد 2026/2025

أما الدراسة الثانية تناولت المصطلح اللساني، وركزت على الجانب الصوتي، وتختلف دراستي لأنها ركزت على مصطلحات ومفاهيم.

أما المقال يتفق مع دراستي في التعرف على مصطلحات، ولكن دراستي ركزت على كتاب البيان والتبيين.

اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها :الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، الازهر الزناد دروس البلاغة العربية .فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ . علي أحمد مدكور، فنون اللغة العربية.

ومن الصعوبات التي اعترضت الدراسة هي البحث عن ملامح التعليمية فهي لا تبدو مستقلة في كتاب الجاحظ فأسلوبه يتميز بالاستطراد، والبحث عن أمر واحد يستدعي من القارئ البحث في كامل الكتاب وهي ليست صعوبة ولا تعد شيئاً أمام إرادتي وإصراري على مواصلة البحث، بل تحولت إلى متعة علمية تكسب المرء ثقافة.

أوجه شكري العظيم إلى الخالق الكريم الذي منّ علي بفضله في البحث، وفي هذا الشكر الموصول إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة عامر سمية على إرشاداتها وتوجيهاتها، ومن ساعدني من قريب أو من بعيد

المدخل: العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية

(مدخل مفاهيمي)

توطئة :

شهدت العلوم الإنسانية تحولات جذرية في القرن العشرين نتيجة تأثرها بالتيار العرفاني هذا التأثر اسفر عنه مجموعة من النظريات المعرفية و حتى اللسانية التي تهدف الى تفسير السلوك اللغوي و العقلي للإنسان ، و من بين هذه النظريات تبرز لعلوم العرفانية ، تلك التي تقوم على فكرة ان العقل البشري يشكل العالم من خلال عمليات عرفانية داخلية ترتبط بالإدراك والذاكرة بالاستعارة الذهنية ، ومن هنا نشأت اللسانيات العرفانية كفرع من العلوم العرفانية تسعى لفهم كيفية تعامل الانسان مع اللغة باعتبارها أداة لفهم العالم وتنظيمه .

أولا : مفاهيم اللسانيات العرفانية :

تعتبر اللسانيات العرفانية هي_الدراسة لبيان بشري و ما يتعلق به الى دراسة النهف البشري بوصفه مجالا أوسع يمكن للباحث ان يختبر في اطاره النظريات اللغوية و يضفى مفاهيم جديدة.

تعريف اللسانيات العرفانية: تتركب اللسانيات العرفانية من كلمتين هما اللسانيات والعرفانية.

1 اللسانيات: (اللسان)

لغة : فاللسانيات علم من اهم العلوم الحديثة التي صبت اهتماما على البشرية و حاولت في كل المجالات تسليط الضوء على ضرورة دراسة الجانب اللغوي و اللسان البشري لأنه يعتبر من اهم المسارات التي يمكن للعلم البحث و التعمق فيه.

يقول ابن فارس(359 هـ) في مادة لسن : اللام والسين والنون أصل صحيح الواحد يدل على طول اللطيف غير بائن في عضو او غيره ، من ذلك اللسان وهو معروف وجمع ألسن فاذا كثر فهي أسنة ، ويقول بسنته اذا اخذته بلسانك

قال طرفة : واذا تلسنني ألسنتها أنني لست بموهن غمر

وقد يعبر باللسان عن الرسالة فيأنث حين إذن يقول أعشى :

انني أتاني لسان لا أسر بها من علو لا عجب فيها ولا سحر

واللسن جودة اللسان وفصاحة واللسن اللغة يقال لكل قوم لسن أي اللغة وقرأ بعضهم قوله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه "

ويقول ملسون الكذاب وهو مشتق من اللسان لأنه إذا عرف بذلك لسن أي تكلمت فيه ألسنة [1]

يقول راغب أصفهاني (565 هـ) في مادة لسن : اللسان الجارحة وقوتها وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : " وأحلل عقدة من لساني " يعني به من قوة لسانه فان العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوته التي هي نطق عبها ويقال لكل قوم لسان وقوله تعالى : " اختلاف ألسنتكم وألوانكم " فاختلاف الالسنة إشارة إلى اختلاف اللغات نغمات فان لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع ، كما أنه همزة مخصوصة يميزها البصر [2]

ومن هنا نلاحظ من خلال التعريفين لكل من ابن فارس واصفهاني في مادة" لسن "نرى كل واحد وظف تعريفه وتعبيره الخاص لكنها كلها تحمل تعريف للسان

<u>التعريف الاصطلاحي :</u>

اللسانيات هي علم يدرس اللغات الطبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة ، مع إعطاء الاسبقية لهذه الأخيرة انها مادة خام تساعد أكثر على تحقيق من مدى الفعالية الأدوات البحث اللساني المعاصر ويهدف هذا علما أساسا الى وصف وتفسير أبنية هذه اللغات واستخراج قواعد العامة المشتركة بينها وقواعد الخاصة التي تضبط العلاقات بين العناصر مؤلفة لكل لغة على حدا [3]

عرف الفارابي(339) هـ اللسانيات إذ يقول في هذا الشأن علم اللسان ظربان أحدهما حفظ ألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلى ما يدل على شيء منها والثاني في قوانين ألفاظ عندما تكون مفردة وعلم الدلالة وألفاظ مركبة وعلم قوانين ألفاظ عندما تكون مفردة وقوانين تصحيح القراءة [4] وقوانين تصحيح أشعار

---

[1] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1399 –1979 م ، ص 10 مادة لسن

[2] راغب الأصفهاني ، مفردات في غريب قران ، تح : محمد أحمد خلق الله ، مكتبة انقلو المصرية ، قاهرة ، مصر ، د ت ، 2009 ، ص 580 مادة لسن

[3] عبد العزيز حليلي ، اللسانيات العامة واللسانيات العربية ، منشورات دار سال ، دار البيضاء ، ط 1 ، 854 هـ –1991 م ، ص 11

[4] الفرابي ، إحصاء العلوم ، تح : عثمان أمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة مصر ، 1931 ، دط ، ص 15

وكذلك عرفها ابن خلدون (808 هـ) نجد أن مصطلح اللسان بوصفه موضوعا للدراسة العالمية شائعا ومألوفا عند ابن خلدون ، اذ انه أفرد فصلا في مقدمته عنونه في علوم اللسان العربي ثم أدرج تحت هذا عنوان علم النحو ، علم اللغة ، علم البيان ، علم الأدب [1]

نستنتج أن اللسانيات هي الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال الالسن او اللغات خاصة بمجتمع، فهي دراسة اللسان البشري يعوزها التمييز بالعلمية الموضوعية .

2- العرفانية: لغة:

لعل ما تحمله مادة نصبه في العقول المحمية ما أورده ابن منظور (ت 711هـ) في لسان العرب مادة عرف : "عرف العرفان العلم .... عرفه عرفة و عرفانا معرفة و رجل عروف و عروفة : عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحد راه مرة ..... و العرفان و العرفان : اسم [2].

. و يعرف العرفان عند المختصين بانه اسم عرف يعرف يدل على العلم بالشيء او القرار بالمعروف و عدم الذكران الجميل ، ثم استعمله اهل التصوف لما يكون لهم من المعرفة غير أتية عن طريق العقل و هو مثبتة باستدلال أو برهان [3]من خلال المعنى اللغوي ، فكلمة عرفان تدل على العلم و استعمله اهل التسوق للدلالة الالاهية .

التعريف الاصطلاحي للعرفانية: ينطلق مصطلح العرفانية على المعرفة الحاصلة على المشاهدة القبلية لا بالعقل ولا بواسطة العقل و لا بفضل التجربة الحسية [4] ، هذا مالا نجده عند اللسانيات العرفانيين الذين يرون بان الوصول الى هذه الحقائق لا يكون الا باستعمال العقل .

ثا نيا : ترجمة اللسانيات العر فانية:

لقد اختلف الباحثون و المترجمون العرب في ترجمتهم لمصطلح cogmitive و ما يقابل ذلك الفضاء العربي ، فكل بحسب ما يترجمه و فما يلي نرصد بعض الترجمات العربية لهذا المصطلح .

---

[1] ابن خلدون ، مقدمة ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس دط ، 1984 ، ص 711

[2] عز الدين بن عمارة الربيع بوجلال ، مفاهم اللسانيات عرفانية ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، م 03 عدد خاص 2019 جامعة محمد بوضياف المسيلة ، تاريخ الاستلام 2010/10/26 ، تاريخ القبول 2019/11/01 تاريخ النشر 2019/11/20 ص 63

[3] عطية سليمان احمد ، اللسانيات العصبية في الدماغ ، (رمزية ، عصبية ، عرفانية) الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، للنشر ط 1 ، 01.01.2019 ص 35

[4] اليزيدي محمد تقي الدين ، الأيديولوجية المقارنة ، تر: عبد المنعم الخفاني ، دار المحجبة البيضاء ، بيروت . ط 1 -1413هـ 1992 م ص21

. فنجد (لسنيات معرفية) و (لسانيات عرفانية) و (لسانيات عرفنية) و (لسانيات ادراكية) و من الواضح ان بؤرة الاختلاف هي في ترجمة ذلك النعت المنسوب cognitive الذي يترجم بالإدراكي كما هو الامر عند سعيد بحيرى، و يترجم ب العرفاني كما استخدم فريق بحث اللسانيات العر فانية و اللغة العربية في الجامعة التونسية، و كما في كتاب الدكتور صابر حباشة "أسئلة و التداولات الخطاب: مقاربة عرفانية تداولية، النظرية العر فانية"[1]

و يشير محي لدين محسب في كتابته الادراكيات الى مصطلح العرفان و ترجمته ذلك حينما قال بانه يمكن ان نشير ان مصطلح عرفان هو نفس المصطلح الذي ترجمته الصفحة الفرنسية cognitive عام 1904 في اول قاموس فرنسي / عربي شامل، و المشكل ان هذا المقابل العرفان استقر ترجمة لمصطلح gnosis و المفهوم من gnosis و مقابله "عرفان" ، و هو شائع بدلالته على انه المعرفة الروحية حال تحررها من القيود ، و كذلك بدلالة في بعض الخطابات الفلسفية و السيكولوجية . [2]

. و قد اقترح الباحث الازهر الزناد مصطلح العرفنة و الذي اجراه في بعض كتبه و منشوراته منها:

"نظريات لسانية عرفانية: و"النص و الخطاب و مباحث لسانية عرفنية" و قد أشار انه استخدم هذا المصطلح العرفنة كتعويض لمصطلحات . لمصطلحات متداولة مثل العلوم العر فانية، علم المعرفة، العلوم المعرفية، والادراك و هذا التعويض لم يأتي عبثا و إنما يمكن رده الى عدة عوامل منها:

. عامل الاشتراك و التداخل بين المصطلحات، فكلمة عرفان تشترك بين إستعمال قديم و حديث فهي تدل على معنى الشكر و مجال واسع في التعيد و التصوف و في مجال البحوث الماورائية، و مقابلة كلمة معرفة او ادراك لمصطلح coguition و منها أيضا مراعات الجدول الاشتقاقي في اللغة الإنجليزية الدائر حول cognition و يقول أيضا العرضانيات عندما وصلتا فهمت بتصورات أرسطية و نفسية قديمة . (3)[3]

. و قد بين عبد الرزاق بن لنور في كتابه علم الدلالة و العر فانية في مقدمة الكتاب قوله : إتبعنا التقاليد التونسية في ترجمته cognition بالمعرفة و العرفان او العر فانية حيث يترجمها سائر العالم العزلي تقريبا بالإدراك ، و لكن و قد عرفت عن هذه الترجمة و قبلت .... ثم ان استعمال جاكندوف بكثرة عبارة perception التي تترجم بـ "الادراك " لذلك ، و كي لا يقع في الخلط بين perception و cognition فضلنا الإبقاء على العلم فانية لـ:

---

[1] محي الدين محتسب : الادراكيات ، ابعاد ايستمولوجية وجهات تطبيقية ، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، ط 1 ، 2017 ، ص 48

[2] ينظر : المرجع نفسه : ص 1 -48- 49.

[3] ينظر : عمر بن دحمان ، المعرفة الادراك، الغرفة ،بحث في مصطلح ، ص 8- 9.

Cognition و الإدراك لـ : perception. [1]

. و يضيف محي الدين محسب في كتابه عن المقابلات الترجمة للمصطلح حيث يقول: و بطبيعة الحال فإن هذه المقابلات العربية لمصطلح cognitive في ترجمة cognitive .

. lingwistiqu اللسانيات لها تكرارات مماثلة في ترجمة cognitive science و لكن يضاف إليهما فيما رصدناه مقابل اخر هو العلوم الاستعرافية. [2]

من خلال ما رصدناه عن الترجمات يمكن ان نقول إن الترجمات العربية لكلمة cognitive تعدد من باحث إلى أخر وكلا حسب ترجمته للكلمة الإنجليزية فضاك من ترجمها عرفان . معرفة و عرفانية . و هناك من رجع مصطلح كتعويض عن باقي المصطلحات كالأزهر . الزناد . الإقتراح مصطلح العرفنة و نحن نرجع مصطلح العر فانية توافق مع بحثنا.

ثالثا : بدايات اللسانيات العرفانية :

إن الإرهاصات الأولى لهذا العلم ضارا في التاريخ ، إلا أن ظهورها لعلم مستقل بذاته يعد حديث النشأة ، تأييدا لما جاء على لسان جاردير garduer الذي يقول عن هذا العلم أنه :

" ذو ماض طويل وذو تاريخ قصير نسبيا " [3] وهذا ما يجعل البحث عند حضاريات العلوم العرفانية ، أمر مختلف فيه ، حيث يمكننا دراسة الجذور التاريخية للعلوم العرفانية وفق اتجاهين كما يرى محي الدين محسب [4]

أما ثانيهما فاتجاه اخر يرجع البدايات الأولى للعلوم العرفانية أما الى : المدرسة علمية او فلسفية او الى عالم او منكر او الى نظرية عرفانية معينة وهو ما يوضحه المخطط التالي :

---

[1] راي جاكندوف : علم الدلالة والعرفانية ، نقله عن الإنجليزية وقدم له الرزاق بنور ، مرك مختار كريم دار سيناترا ، تونس ،2010 ص 24

[2] محي الدين محسب، الادراكيات ، ص .53-54

[3] محي الدين محسب ، الادراكيات : ابعاد استمولوجية وجهات تطبيقية دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع : ط 1 ، الأردن ، 2017 ص 10

[4] ينظر : المرجع نفسه ، ص 10 11

* المصدر

أولا :الإتجاه الاول: هو اتجاه يتم فيه التأهيل للعلوم العرفانية بناءا على الحقيقة الزمنية المنتمية اليها وينقسم هذا الاتجاه الى نوعين:

1.فرع يعود الى ما قبل الميلاد: حيث ترجع أصحاب هذا الاتجاه محاولات فهم العقل وعملياته الى الفلاسفة اليونان كارسطو وأفلاطون [1]

2.فرع يعود الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين:

" حيث كان ثمة إهتمام كبير بتفسير العمليات الادراكية المتضمنة في الانتباه والذاكرة، وتفسير تجربة الوعي [2]

3.الإتجاه الثاني: أصحاب هذا الاتجاه يرونه ان البدايات الأولى لهذا العلم تعود الى:

مدرسة الفلسفة بعينها:

– مدرسة الجيشطالت * : gestalt فعلم النفس تلك المدرسة التي ازدهرت أواخر القرن التاسع عشر أوائل القرن العشرين والى ترتبط بالعلوم العرفانية من حيث تعلقها بفكرة ان العقل mind ينبثق من الخصائص الفيزيقية للدماغ brain، كما يتعلق بالأفكار المتصلة بالإدراك عموما ، وبالأدراك البصري على وجه الخصوص [3] ويذكر محي

---

* المصدر : تم وضع المخطط من طرف الباحثة علالي مريم

ينظر : ا لمرجع السابق ص 10

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها

* جشطالت كما عند علماء النفس هو بنية ذهنية وضيفية كاملة ومركبة ترتب تنوع الظواهر المنفردة في الوعي البشري ، هو عبارة عن صورة متكاملة تجمع العناصر الحسية والذهنية ، وتشمل كذلك الجوانب الدينامية والستاتيكية الساكنة للشيئ او الظاهرة المصورة للمزيد من المعلومات

* الادراكيات مصطلح يتبناه محي الدين محسب cognitive science حيث تختلف ترجمة هذا المصطلح في العالم العربي وهذا ما ستطرق اليه لاحقا

** الشمول : يعني هذا المبدا ان أي ترجمة وعي يجب ان تفحص بشكل شمولي ، وقد قاد هذا المبدا الى نظرية تكامل التعدد الصيغي multimodel interogatîon، أي التكامل في المعالجة الادراكية للمثيرات الواردة من الحواس المتعددة ، محي الدين محسب الادراكيات ص 11

[3] ينظر: المرجع ا نفسه ، ص 11

الدين محسب انه " ما يزال في الادراكيات * أصداء المبداين الجشطاليتين الشهيرين ، مبدا الشمول ** ومبدا التشاكل النفسي الطبيعي psycholysical isomorphism ، الذي يقرر العلاقة بين الوعي والعمليات الفيزيولوجية الكامنة "

المصدر: تم وضع المخطط من طرف الباحثة على ما جاء في المقالة الأولى من كتاب الادراكيات ل محي الدين محسب: اطلالة تاريخية ايستمولوجية

وتدعيمها لما سبق ذكره نذكر في هذا السياق: " إن مقاربة الادراكي الشهير رونالد لانقاكر *** R. Langacher فيها إشارة الى علم النفس الجشطلي ، ذلك من خلال ملاحظته للتماثلان بين البنن اللغوية وجوانب الادراك الحسي البصري " [1] وفي هذا السياق ذاته نذكر أن " بوادر نظريات الجشطالت ظهرت منذ فون ايز نفلس C.Von echrenfels ثم تبلورت في اعمال كوهلر Kohler وكفكا Koffka في مابين السنوات 1920 و 1940 وفيها تركزت فكرة الادراك الإجمالي والعمليات العرفية النازلة top – down processes[2]

الفلسفة الظاهراتية :

حيث يربط البعض بين الفلسفة الظاهرتية والادراكيات (العلوم العرفانية) على أساس ان كلتيهما تعالجان سؤال المقصود من معنى الانسان ، وكيف اننا قادرون على التفاعل فيما بيننا ، [3] وكدليل على تلك العلاقة القوية بين العلوم

*** رونالد لانقر : لساني امريكي (قسم السانيات جامعة كاليفورنيا بسان ديغو) ولد سنة 27 ديسمبر 1942 وهو من ابرز مؤسسين لتيار اللسانيات العرفانية ، ولجمعية اللسانيات العرفغانية العالمية التي كان لها رئيسا لمدة عامين 1997 – 1998 صاحب نظرية النحو العرفاني . وله فيها مقالات وكتتب كثيرة للمزيد من التفاصيل ينظر رونالد لانقر مدخل في النحو العرفاني ترجمة الازهر الزناد مراجعة الحبيب عبد السلام ، دار سيناتر ، معهد بتونس للترجمة ، طبعة 1 تونس 2018

المرجع السابق ص 12– 11

[2]الازهر الزناد ، نظريات لسانيات عرقية (الدار العربية للعلوم ، بيروت ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، منشورات الاختلاف الجزائر) د .ط.2009 ص 37

* الظاهرتية او الفونولوجية ، يجمع الباحثون على ان اول من استعمل هذا اللفظ الأخير ، كان ق، هـ لامبرت في كتابه الموسوم ب neues organon leipzig سنة 1764 ، وتوالت استعمالات هذا المصطلح لدى العديد من الفلاسفة ، بيد ان اول من استعمل هذا اللفظ للدلالة على منهج فكري واضح المعالم ، كان ادموند هوسلر 1859 – 1938 وهذا التوجه الجديد يحاول مخاطبة الأفعال الادراكية في الان ذاته لما يتم ادراكه من خلال على انه ظاهرات تتبدل الادراك ، للمزيد من التفاصيل ينظر : أنطوان خوري مدخل الى الفلسفة الظاهرتية ، دار التنوير للطباعة والنشر ط 1 لبنان ، 1984 ص 35–33

3 محي الدين محسب ، الادراكيات ، المرجع السابق ، ص12

العرفانية والفلسفة الظاهرية ، يذكر محي الدي محسب " تأسيس الجمعية الدولية للظاهراتية والعلوم الادراكية (IAPCS) سنة 2000 ، وصدور العدد الأول من مجلة الظاهرتية والعلوم الادراكية) عن دار سبرنجر springer الهولندية " [1]

- أحد العلماء او الفلاسفة:

إسهامات الفلاسفة: حيث يرى ان العلوم العرفانية ممتدة في التراث لتطول الفلسفة اليونانية و ذلك مع كل من ديكارت descartes (1596-1650) و كانط kant (1724 - 1804) بينما يرى البعض الاخر ان كانط هو الجد العقلي لعلم العرفان المعاصر [2] وهذا ما ينفي اسهامات ديكارت.

- إسهامات علماء النفس : حيث يذهب الى ان عالم النفس الألماني اوتو سيلز otto sels (1881-1943) هو الرائد الأول للبحث العرفاني و يذهب اخرون الى ان ليف فيجوتسكي vygotsky 1896- 1934) يمثل حلقة الظاهراتية او او الفتومنولوجيا ، يجمع الباحثون على ان اول من استعمل هذا اللفظ الأخير كان ق.هـ لامبرت في كتابة الموسوم بـ newes organon leipzig سنة 1764 ، و توالت إستعمالات هذا المصطلح لدى العديد من الفلاسفة بيد ان أول من استعمل هذا اللفظ للدلالة على منهج فكري واضح المعالم ، كان ادمونت هوسرل (1859-1938) و هذا التوجه الجديد يحاول مخاطبة الأفعال الادراكية الذاتية على انها ظاهرات يتيعن وصفها ، فاذا بهذه المخاطبة في الان ذاته وصف لما يتم ادراكه من خلالها على انه ظاهرات تتبدى للإدراك ، للمزيد من التفاصيل ينظر انطوان خوري مدخل الى الفلسفة الظاهراتية ، دار التنوير للطباعة و النشر ، لبنان ، 1984 ص 35-39 .

تمثل حلقة في تاريخ العرفانيات ، و ذلك من خلال ايمانه بالأصول الثقافية و الاجتماعية للبنى العرفانية الذهنية ، و هذا يذهب فراولي frawley الى وجود علوم عرفانية فيجوتسيكية (vygotskyan cogntive science) [3]

كما نذكر أيضا عالم النفس السويسري جان بياجي ، و محاولته الحقيقية في وصف التطور الإدراكي البشري على نطاق أوسع ، تلك المحاولات كانت الأولى من نوعها بياجي الذي اعتقد وجود اربع مراحل أساسية للتطور المعرفي ،

---

[1] ينظر :المرجع السابق ، صفحة نفسها

[2] ينظر :المرجع نفسه، ص 14

[3] ينظر : المرجع نفسه ،ص 13- 14

تلك المراحل كانت و لا تزال تقديرا تقريبيا معقولا للطريقة التي يتطور بها الأطفال [1] ، ومنه يمكننا القول ان كلا من فيجوتسكي

و بياجي كان مدافعا رئيسيا عن فكرة ان العقل الإنساني هو نتاج عمليات بيولوجية و ثقافية، و ان دراسة هذا العقل لا يمكن تحقيقها بدون دراسة اليات النمو التي تنبثق منها القدرات العرفانية الذهنية و التي تقيد تنظيم تلك القدرات[2] . كما نذكر أيضا برنتانو brintano الذي حوت اعماله ، دعوة الى اعتماد مقاربة تجريبية ميكانيسيتية للعمليات الفكرية و مظاهر الوعي[3] و نورد أيضا " عالم النفس التجريبي دونالد برود بينت (1926 – 1993) donald broad bent صاحب كتاب " الادراك الحسي و التوصل" الذي ظهر عام 1958 ، و الذي قدم فيه انتقادات كثيرة لنظرية الدفع و الاستجابة السلوكية و كان من أوائل من استخدموا تشبيه الادراك الذهني البشري بالحاسوب

– **<u>إسهامات بعض السلوكيين</u>** : يذكر في هذا الصدد اسهامات بعض السلوكيين الذين ساهموا بقصد او بغير قصد في وضع البنيات الأولى للعلوم العرفانية ، أمثال كارول برات carroll pratt (1894 . 1979) أستاذ علم النفس ، أستاذ علم النفس الذي قام بتقديم الاستبطان * و السلوك بوصفها موردين للمعطيات النفسية و نذكر أيضا العالم السلوكي البرت (alpert) الذي قام بالدعوة الى النظر لعلم النفس نظرة معاير تخرجه من موقعه التجريبية الى العقلانية ، و بالتالي السماح له ان يكون عقلانيا و غائيا ، و كيفيا ، و ذاتيا ، و شموليا و غير اجرائي .[4]

كما نذكر إدوارد تولمان (edward tolman –1959) الذي يقر أحد الباحثين انه بمثابة أداة وصل بين السلوكية والنظرية والادراكية، وذلك حين زعم ان كل أفعال الكائن الحي تتجه الى هدف معين عن طريق الادراكيات الذهنية التي هي وعي الكائن الحي بالروابط الممكنة / المحتملة بين أفعال معينة ونتائج معينة.[5] كما نذكر أيضا كارل لاكلي (1890–1980)

---

[1] ينظر: اليكسيس ويليتو جينيفير بارنيت ، الدماغ و ما القدر الذي تحتاجه منه ، ترجمة منى احمد عصير الكتب للنشر و التوزيع ط1، مصر 2021. ص 107–108

[2] محي الدين محسب ، الادراكيات ، المرجع السابق ، ص13

[3] ينظر : الازهر الزناد ، نظريات لسانية فنية المرجع نفسه ، ص 37

* الاستبطان – introsption هو الدخول الى باطن الشيء ، ويطلق على ملاحظة النفس الفردية لذاتها لغاية نظرية وهذه الغاية قسمان الأول معرفة النفس لذاتها من جهة ماهية فردية ، والثاني معرفة النفس الفردية من جهة ما هي نموذج النفس البشرية العامة ، لكل نفس مهما يكن نوعها ويسمى هذا

Karl lacly و تلميذه رونالد هيب ronald hebb (1903–1985) و دورها في تأسيس النظرية النفسية العضوية neurological –psy chological theory

- **إسهامات علماء الاعلام والحوسبة** : نذكر في هذا الصدد كل من " ماككولغ " mcculloclh وبيتس pitts الذين تظمنت اعمالهما نظرية الكائنات الالية وهي بوادر الرابوطية في الذكاء الاصطناعي ، ومحاكات النظام العصبي المركزي [1] كما يذكر أيضا نوربات فينال 1813 – 1878 norbat viner ودوره الدياري في وضع ما يسمى بالسيبرنتية cybernetics* ثم تطورت الفكرة وتوسعت للتحول الى مشروع واسع يظم التحكم في النظم البيولوجية الحية والنظم الالية الاصطناعية باعتماد مبدا الترجيع feedback* على أساس ان جميعها يقوم على التوجه المقترن بالهدف [2]

- **إسهامات علماء التشريح والاعصاب** : نذكر على سبيل القصر ، اعمال بروكا 1824– 1880 p–broca وفرنيكا (1848 – 1905) c.vernicka ، فبالنسبية للأول نذكر أعماله المتعلقة بالعاهات النطقية، تلك الاعمال التي اثبتت ارتباط بعض الانشطة اللغوية بمواقع معينة من الدماغ حيث ان تلف احد المناطق يؤدي الى تعطل مناطق أخرى فيما اصبح يعرف بمنطقة بروكا ، اما عن الثاني فقد واصل في نفس الاتجاه العصبي لفهم اللغة، مساهما في غرس بوادر اللسانيات العصبية [3]

الاستبطان بالتامل الباطني ، جميلا صليبا المعجم الفلسفي : بالالفاظ العربية والفرنسية والانجليزية والاتينية ، ج 1 ، دار الكتاب اللبناني ، د ط لبنان 1920 ص 64

[1] ينظر : ازهر زناد نظريات لسانية عرفانية ، دار العربية للعلوم ، بيروت ، دار محمد علي للنشر .تونس ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ، د ط 2009 ص 37

* السبريتية : تسمية من وضع فينال vinalسنة 1984 حيث تقوم على مبحث ذي أساس فيزيولوجي فيما به يمكن للكائن الحي ان يحفظ نفسه في محيط خارجي بما فيه من تغيرات ومخاطر وفي ما به يكون تفاعله معها ، للمزيد من التفاصيل ينظر ازهر الزناد ،نظريات لسانية عرفانية المرجع السابق ،ص 17

* مبدا الترجيع : الذي يعتمد فيه المعلومات المستقاة من الرادار لتعديل طلقات المدافع لضمان نجاحها لاصابة الهدف ويكون ذلك بارسال دفعة من الطلقات ثم تظبط نسبة الإصابة او الخطا فيها باعتماد المعلومات الراجعة من الرادار لتعديل زاوية الاطلاق في ضوء تلك اتلترجيع وكان هذا المبدا قوام المشروع نشا في بداية الحرب العالمية البثانية من اجل بلورة نظام في الدفاع المضاد المرجع نفسه والصفحة ،

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

* تأخذ اللسانيات العرفانية عدة تسميات أخرى منها اللسانيات الثقافية ، علم الثقافة الغوي culturolgy lingo واللسانيات الانثروبويولوجية الثقافية واللغوية محي الدين محسب الادراكيات المرجع السابق ، ص 19

ينظر : المرجع نفسه ، ص 36

فرع علمي عرفاني بعينه : حيث يتجه البحث عن جذور العلوم العرفانية أحيانا الى احد فروعها كما هو الحال في الحديث عن اللسانيات العرفانية، بعدها احد فروع العلوم العرفانية [1]

- **أحد الفروع نفسه:** كان نتحدث مثلا عن احد الفروع اللسانيات العر فانية المتمثل في اللسانيات العر فانية الاثنية * (cogmitive et hnoling guistics) المعنية ببحث العلاقة بين اللغة و الثقافة و العقل ، فيقال ان جدور هذا الفرع تعود الى المدرسة العلمية الألمانية [2] ذلك ان اللسانيات العر فانية الاثنية احد فرع اللسانيات العر فانية الى بدورها متفرعة عن العلوم العر فانية ، و لهذا يذهب بعض الباحثين الى البحث عن حفريات اللسانية العر فانية الاثنية من اجل معرفة أصول العلوم العر فانية .

- **نظرية عرفانية معينة:** في هذا الصدد يتجه البحث عن الجذور العر فانية الى نظرية عرفانية معينة "فيقال مثلا ان نظرية (الأنماط الاصلية) protoypical للمفاهيم تعود الى بعض أفكار الفيلسوف الألماني فيتجنشتين (1951 – 1889 vittgentien) خاصة ملاحظة الشهيرة ان الأشياء التي يغطيها مصطلح واحد غالب ما تشارك في تشابه عائلي afami lyresemblance و لا جماعها بالضرورة خصائص ماهية جامعة مانعة كما كانت تقول نظرية الحد الارسطية"[3]

فوجب التنويه في هذا السياق الى التسيير الذي أشار اليه محمد صلاح الدين الشريف في تقديمه لكتاب "مدخل الى نحو العر فانية".

بين "نظرية المعرفة المرتبطة بضاعة العلوم، تلك النظرية ذات الأصول الفلسفية التي بدات تديما مع افلاطون ة تطورت حديثا مع كازط و بين اتجاه فكري علمي، على الرغم من خلفياته الفلسفية الا انه اقرب ان يكون مشروع بحث في العلوم الطبيعية ذلك انه ناتج عن تطور البيولوجيا [4]، و هذا الاتجاه الثاني هو ما يسمى بالعلوم العر فانية .

ومنه نستنتج : العلوم العر فانية لم تنشا فجأة بل هي نتيجة تداخل طويل بين عدة مجالات مثل الفلسفة وعلم النفس، اللسانيات، علم الاعصاب والذكاء الاصطناعي هذا يعني ان فهم المثل الإنساني يحتاج الى مقاربة متعددة التخصصات.

---

[1] ينظر : محي الدين محسب الادراكيات ، ص 18-19

[2] تأخذ البيانات العرفانية الاثنية عدة تسميات أخرى منها اللسانيات الثقافية ، وعلم الثقافة اللغوي culturolry lingo واللسانيات الانثوبولودجية واللسانيات الانثروبويولوجية الثقافية والانثروبولوجية اللغوية ، محي الدين محسب الادراكيات ، المرجع السابق ص 19 .

[3] المرجع السابق ، ص 19 -20.

[4] ينظر :عبد الجبار بن عزيبة ، مدخل الى النحو العرفاني ، مسكلياني للنشر والتوزيع ، .ط ، 1 تونس ، ، 2010 .ص 7

2. تأثرت العلوم العر فانية بالفلسفات القديمة خاصة عند افلاطون و ارسطو حيث طرحت أسئلة حول طبيعة المعرفة و الادراك ثم تطورت هذه الأسئلة مع الفلاسفة المحدثين مثل رينيه ديكارت الذي ركز على العقل مقابل جون لوك الذي ركز على التجربة (3) شهد القرن الـ20 نقطة تحول مهمة مع ظهور ما يعرف بالثورة المعرفية كرد فعل على المدرسة السلوكية التي كانت تهمش العمليات العقلية ، هنا بدا الاهتمام بما يجري داخل الذهف مثل الادراك ، الذاكرة ، اللغة و التفكير (4) لعبت اللسانيات الحديثة دورا كبيرا خاصة مع اعمال نعوم تشومسكي الذي ابرز أهمية النسبة الذهنية للغة ، مما دعم فكرة ان العقل يحتوي على أنظمة داخلية معقدة (5) و أخيرا نستخلص ان العلوم العر فانية تهدف الى فهم الانسان ككائن مفكر من خلال دراسة كيفية بناء المعرفة و تمثيلها داخل العقل و هي ما تزال تطور مستمر مع تقدم الأبحاث العلمية .

رابعا : النشأة و التطور :

يعرفها هادموند بوزمان في قاموسه "بأنها إتجاه في البحث متداخل التخصصات ، تطور في نهاية الخمسينات في الولايات المتحدة الامريكية ، و يعني بدراسة العمليات الذهنية لاكتساب المعارف و اللغة و استخدامها على خلاف النزعة السلوكية المركزة على السلوك القابل للملاحظة و السيدورات القائمة على المثير و الاستجابة ، يؤدي السلوك في اللسانيات العر فانية دور الواسطة بقدر دعمه رؤى متعمقة لسيدورات عرفانية ، و الهدف من الدراسة العر فانية هو البحث في البنية و التنظيم العرفانيين و الذهنيين من خلال تحليل الاستراتيجيات العر فانية التي يستخدمها البشر في التفكير و تخزين المعلومات و فهم اللغة وإنتاجها [1].

. اللسانيات العر فانية هي الدراسة العلمية المنظمة للألسن البشرية من خلال الوحدات و الترتيبات المسؤولة عن تنظيم العمليات الادراكية cognitive processes و بصفة خاصة التبويب ، التشغيل ، التمثيل و المنطق ، ينظر هذا المجال بصفة عامة كونه اتجاها معرف للمدرسة التي أسسها نوام تشومسكى فيها يتصل بالنحو التحويلي التوليدي و الفوضويات حول الكليات اللغوية و الحق أن عدد لا باس به من رواد العر فانية يصرحون بهذه المدخلية غير انهم ليسوا جميعا على درجة من المخالفة [2].

[1] صابر الحباشة . واخرون . دراسات في اللسانيات العرفانية ، الذهن واللغة والواقع – جامعة باجي نختار – عنابة . الجزائر ، 2018 –ص 12

[2] عبد الكريم جيدور . اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية . وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية ، مجلة العلامة ورقلة – الجزائر – 5 – 2017 م

و تعود نشأة اللسانيات العر فانية 1987 سنة صدر كل من كتاب لا يكوف و لا نقاكر (1987) و مقال طالمى (1988) ، و قد صاحب هذا التأسيس المعرفي العلمي بحث جمعية اللسانيات العر فانية العالمية (1989) و مجلتها اللسانيات العرفنية سنة (1990) و ذلك بعد عقد تقريبا من بعث مجلة العلوم العر فانية 1977 و تأسيس جمعية العلوم العر فانية بأمريكا (1979). [1]

و هناك عدة ظروف ساعدت على نشأت اللسانيات العر فانية منها الفلسفة و الاتجاهات البحثية الحديثة فيها، و أيضا اتجاهات العلوم المعرفية المتعددة كما مثلت النظرية اللسانية التوليدية التحويلية منطقا أساسيا لهذا الاتجاه اللساني الحديث و مهدت له الطريق للظهور فبدأت تظهر الدراسات و المؤلفات فب هذا المجال ففي عام 1981 صدر متاب الاستعارات التي نحيا بها للمؤلفين: "جورج لايكون" و "مارك جونسون" حيث مثل هذا الكتاب حجر الزاوية في الاتجاه العرفاني للسنيات . [2]

خامسا : علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى:

جاء تعريف هودي و أخرون: فرضت العلوم المعرفية باعتبارها اليوم حقل جديد للمعرفة الذي يحاول التوضيح عن طريق التجريد بالنموذجة و إستعمال التقنيات "سر الذهن" في علاقتها بالمادة: الذهن . الجسد . الحاسوب و في التوجه نفسه يقول لازراد lazazad : تعني بالعلوم المعرفية تلك العلوم التي يمكن هدفها من المظاهر المختلفة للنشاط الحسي و الذهني الذي يتعرف الانسان من خلالها على العالم الذي يحيط به ، نجعل في هذا الاطار : علم النفس . الذكاء الاصطناعي نظرية التواصل و الفلسفة الذهن ....الخ [3].

ويقول أمبار ان العلوم العر فانية جملة من العلوم تدرس اشتغال الذهن و الذكاء و دراسة أسسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة و علم النفس و الذكاء الاصطناعي و علم الأعصاب (علوم للدماغ و اللسانيات و الانثروبولوجيا)

[1] الازهر الزناد : نظريات لسانية عرفانية (الدار العربية للعلوم ، بيروت ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، منشورات الاختلاف ، الجزائر) د .ط 2009 .ص 30

[2] صام عبد القادر ، النظرية اللسانية العرفانية والتلقي العربي بين الترجمة والتيسير الازهر الزناد ، النموذجا . مداخلة لملتقى وطني موسوم باللغة العربية بين اللسانيات واللسانيات العرفانية في الجامعات الجزائرية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية المرجع السابق ص 91 .92

[3] حمو جاج ذهبية ، مقدمة في اللسانيات المعرفية ، منشورات مخبر تحاليل الخطاب ، ع 14 . 2013 م – جامعة تيزي وزو – الجزائر ،ص 36

و تدرس الذكاء عامة و الذكاء البشري و أرضية البيولوجية التي تحمله، و تعني كذلك بمنولته و تبحث عن تجلياتها النفسية و اللغوية و الأنثروبولوجي [1].

و نتج عن طريق "سلوان" بلورة نموذج تخطيطي للحقول المعرفية التي يتشكل منها علم العرفان العام، اشتهر باسم سداسي HEXAGON العلاقة العر فانية البينية بين العلوم .

الفلسفة philosophy

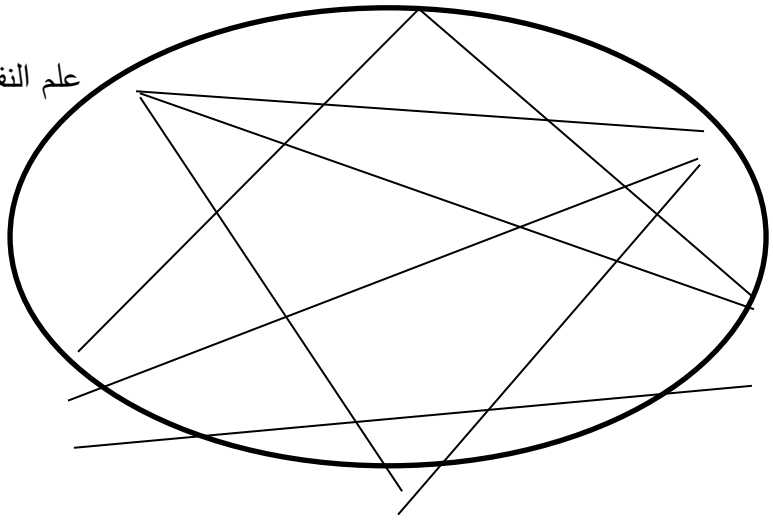

علم النفس psychology

اللسانيات linguistique

الذكاء artificial

الانثروبول الاصطناعي anthropology intell igence

العلوم العصبية neuroscience [2]

سداسي العلاقات العر فانية البينية كما في تقرير سلون selon 1978 .

[1] الازهر الزناد ، نظريات لسانيات عرفنية ،المرجع السابق ،ص 15

[2] صابر الحباشة واخرون دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع ، الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية دار وجوه للنشر والتوزيع ، ط 1 -2019 – ص 19

- اعداد الطالب علالي مريم

شرح المخطط: تمثل الخطوط المتصلة العلاقات القوية بين العلوم المطروحة بالمخطط و الخطوط المتقطعة تمثل علاقات قوة بينهما، و هذا ما يبين مدى تداخل و تلاحم هذه التخصصات فيما بينها لتشكيل علم اللغة العرفان .

. و أيضا تقوم صلة اللسانيات بالعلوم العر فانية مبدئيا على اعتبار اللغة هي موضوع اللسانيات بنية تمثيلية معرفية في اذهان المتكلمين [1].

. عند علماء اللغة تعد اللغة نموذجا مثاليا لمفهوم النظام المعرفي cognitive system يؤكد جورج لا يكون في هذا المقام ان اللسانيات.

اللسانيات قادرة على الاسهام في فهم الكثير من القضايا المعرفة و الفلسفة و عبر دراسة اللغة ، إذ ان دراسة تركيب اللغة الطبيعية و دلالتها تسمح استكناه الفكر و التواصل و الثقافة بالأدب تأسيسا على ما سبق ، فان اللسانيات تفيد هذه أيضا الحقول الأحزمة في فهم بنية الذهن و كيفية اداءه لنشاطه[2].

ويقول غاليم أن أهم ما يعنيه الربط بين مجالي علم اللغة و العلوم المعرفية ان المجالين يفيدان بعضهما، و ذلك حيث ضرورة اخذ مكتسبات العلوم المعرفية بعين الاعتبار عند النظر في طبيعة اللغة و اخذ مكتسبات العلوم المعرفية بعين الاعتبار عند النظر في بنية الذهن / الدماغ المعرفية العامة [3].

أما الازهر الزناد فقد لخص في كتابه علاقة اللسانيات بالعلوم المعرفية من زاويتين: افادة اللسانيات العر فانية من العرفنة عامة و من علم النفس العرفني بوجه خاص تواتر المفاهيم المعتمدة في مختلف النظريات من قبل الخطاطة و التصور الذهني و الحبشطالت و المسح و الطراز و نظرية الابصار و ما اليها عند لانقاكر و لا يكوف و طالمى و جاكندوف على سبيل المثال و من الحاسوبية و ما اليها عند جاكندوف و تشومسكي ، و من علوم الدماغ تستعار الشبكية و الترابطات و التوزع و التزامن في المعالجة [4].

يمكننا ان نستخلص من علاقة اللسانيات ببقية العلوم انها ليست علما معزول، بل هي علم متداخل و متكامل مع مجالات معرفية متعددة و هذا ما يثري فهم اللغة و يجعل دراستها اعمق.

---

[1] محمد غاليم اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ط 01-2021 م ، ص 22

[2] شير ابرير ، مدخل الى العلوم المعرفية اللسانيات والادب موضوعان معرفيان ، جامعة باجي عنابة الجزائر 2018 ، ص 24-25

[3] محمد غاليم ، اللغة بين ملكات الذهن بحث في الهندسة المعرفية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 01، 2021 م ،ص 30

[4] الازهر الزناد ، نظريات لسانيات عرفنية ، المرجع السابق ، ص 32

سادسا: مبادئها

من المبادئ الموجهة للدرس اللساني العرفني مبدان سطرها لا يكون 1990 هما:

مبدأ الالتزام بالتعميم : و يتمثل في ان يستوعب الدرس اللساني العرفني جميع المظاهر في النشاط اللغوي ، و منه فان تحليل اللساني وفق هذا المبدأ يرفض الفصل بين المستويات اللغوية من صوت و تركيب و دلالة في تركيب اللغة ، و اما مبدأ الالتزام العرفني يتمثل في السعي الى اقامة حقائق لغوية توافق الحقائق العرفنية الثابتة في سائر العلوم العرفنية [1] اي معالجة كيفية اتصال اللغة بالإدراك و التمثيلات الذهنية يجب ان يتوافق مع المبادئ المعرفية التي تعتمد على الفهم و التصور الذهني و تطبيقها في حقول عدة مثل اللسانيات ، علم النفس ، علم الاعصاب ....الخ.

و من المبادئ الأخرى التي وجهت الدرس اللساني العرفني عامة و عليه قامت بعض النظريات نجد: الفرضية الرمزية و قوامها كون اللغة تقارن بين الصوت و المعنى و قوام النحو تنظم ذلك التقارب الرمزي على درجات مختلفة من التركيب و البناء ، و هو جلي في نظرية النحو العرفني عند لانقاكر ، و الفرضية القائمة على استعمال ان النحو الذهني عند الفرد انما هو تجريد لاستعمالات عديدة في الواقع فلا مجال للفصل بين المعرفة و الاستعمال ، فالمعرفة هي الاستعمال و العكس ، و لهذه الفرضية حضور ما تعلق بالاكتساب اللغوي و بالتغير اللغة [2]

[1] الازهر الزناد ، نظريات لسانية عرفانية ، المرجع السابق ، ص 32-33

[2] الازهر الزناد ، نظريات لسانية عرفانية ، المرجع نفسه ، ص 33

سابعا: نظريات ومفاهيم اللسانيات العرفانية

الخطاطة: بنية معرفية على غاية من العموم و التجريد بحيث تساعد الفرد على بناء الاستدلال المناسب ، لما تساعده على ملئ الفراغ بان توفر ما هو مسلم به من المعلومات فيتيسر بذلك الاهتداء الى الاعمال او الاحداث انطلاقا من معلومات جزئية او مقتضية [1] .

و هذا ما يجعل الخطاطة الذهنية انسب مبحث للدراسة ظاهرة الحذف و التقدير في النحو العربي حيث تشكل الحطاطة الذهنية الأساس الذي يعتمد عليه العقل في ملئ الفجوات اللغوية التي يتركها الحذف في الكلام و بالتالي تساعدنا في تقدير المحذوف من اجل تحديد ما هو محذوف و تقديره يسمح بفهم الجملة و النص كاملا حتى و مع وجود أجزاء محذوفة .

تعريف الجسدنة: هي جملة من الاليات العصبية و العرفانية التي تمكنا من ادراك ما يحيط بنا ، و هي الاليات نفسها التي تنشئ انظمتنا المفهومية و طرق التفكير عندنا لذا يكون من الضروري فهم النظام البصري و الحركي و العصبي بترابطه فهما دقيقا لكي تفهم الذهف و للجسدنة ابعاد عديدة منها الفلسفي و الثقافي الاجتماعي [2] .

اذا من خلال هذا التعريف نقول ان العقل او الذهن المجسدن لا يتشكل بالجسد فحسب ، بل يتفاعل هذا مع محيطه تفاعلا اجتماعيا و ثقافيا فهي تمزج بين الجانبين العقلي و الجسدي معا.

التصور الذهني :

الذهن الإنساني مخزن للمفاهيم و كل واحد منا يمتلك مفاهيم كثيرة في ذهنه و تعيد التصور نشاط ذهني للعقل لإدراك و فهم الموضوع و ليس بالضرورة أن يكون هذا الموضوع حقيقي فما هو التصور ؟

يعرفه العالم jeaush "التصور هو تلك القدرة الذي يتمتع بها بعض الأشخاص و المتمثلة في تحديد رؤيتهم للأشياء التي كانوا قد راوها سابقا."

والتصورات عبارة عن عملية ادراكية فكرية ذات نشاط ذهني تحمل مجموعة من المعارف و الآراء و الإعتقادات و المعلومات التي ترجع الى شيء معين و تختلف من فرد إلى اخر [1] .

[1] الازهر الزناد ، نظريات لسانية عرفانية ، الدار العربية للعلوم ناشر ، دار محمد علي للنشر منشورات الاختلاف ، الجزائر ط 1 ، ص 65

[2] عطية سلمان احمد ، الاستعارة القرانية والنظرية العرفانية ، المكتبة الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، مصر القاهرة (د.ط) 2013 ص 5و6

. نستنتج من خلال التعريفين نتوصل الى ان نتوصل الى ان التصور عملية ذهنية (عقلية) تكونت لدى الفرد نتيجة معلومات مباشرة أم غير مباشرة او اراء او انطباعات من خلال تجاربه في الحياة ، و تختلف من شخص الى اخر حسب المواقف او الأماكن.

ويرى بولندج ان الصورة الذهنية تتبنى على الخبرات الانسان السابقة منذ لحظة الميلاد و يتلقى الكائن الحي الرسائل مستمرة عن طريق الاحاسيس و الصور التي تكون غير واضحة في البداية ثم يبدأ الانسان بعدها يدرك وجود كل شيء وسط علم الأشياء و يكون هذا بداية التصور الذي يمكن .

كما تهدف الى المعالجة بعض القضايا الدلالية و النحوية و حتى البلاغة بإجراءات عرفانية ، من خالا استثمار مبحث الخطاطة الذهنية في تحليل المشترك اللفظي و في النظر في قضية التأخير و التقديم و قضية الحذف و التقدير في النحو العربي ، و إعادة تفسير قانون الأصل و الفرع في الضوء الاسترسال العرفاني و أيضا نهدف الى معالجة الكليل اللساني معالجة عرفانية .

كما تنبغي الى دراسة البلاغة العربية من منظور عرفاني مع التركيز على الاستعارة التصورية و المنهج التصوري.

وصف بالإدراك [2] .

من خلال قول بولندج تفهم ان الصورة الذهنية تكون لدى الفرد منذ ميلاده ثم يدركها من خلال المحيط الذي يتواجد فيه أي تكون تلقائيا ، حيث تشمل مفاهيم حسية و ذهنية و التي تساهم في تشكيل التفاعلات و الفهم لدى الافراد.

يمكن القول ان للتصور انطباعات إيجابية أو سلبية تكونت لدى الفرد نتيجة معلومة صادقة أو خاطئة ، و هو عملية ذهنية ناتجة عن تفاعل الفرد مع محيطه.

---

[1] بوزريبة سناء ، مدى مساهمة التصورات والانتظارات المهنية في اختيار التخصص الدراسي المهني ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم النفس ، شعبة الارشاد النفسي التربوي ، جامعة عنابة ، الجزائر ، 2012 ، ص

[2] علي عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1983 ، ص 76

الخلاصة

نلخص في نهاية هذا المدخل النظري الى ان اللسانيات العر فانية ظهرت متأثرة بالتيار العرفاني الذي جاء وليدا لحاجة حربية وبهذا أصبحت اللغة بحسب التوجه العرفاني جزء لا يتجزأ من النظام العرفاني الذي يستخدمه الانسان لفهم العالم و تنظيمه و في هذا السياق تعد اللسانيات العر فانية أداة قوية لفهم العالم و تنظيمه و في هذا السياق تعد اللسانيات العر فانية أداة قوية لفهم كيف تعكس العمليات العر فانية في استخدام اللغة و كيف تسهم في بناء المعرفة الإنسانية.

الاستعارة المفهومية بين الدلالة والعرفان

I-علم الدلالة عند العرب:

أولا: الدلالة في اللغة: تعتبر الدلالة في اصلها اللغوي هي بمثابة المرشد او العلامة التي تقودك الى وجهتك جاءت اللفظة مشتقة من المادة الأصلية (د،ل،ل) بمعنى الإهتداء إلى الطريق، يقول الزمخشري (ن538):"دله على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها، وأدللت الطريق، اهتديت إليه،..... والدال على الخير كفاعله"[1] أي بمعنى الإرشاد إلى الطريق الموصل إلى مكان ما.

ومما ذكره الراغب الاصفهاني أن مصطلح الدلالة يجيء بكسر الدال ومعناه: "ما يوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود والحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد"، كما يرى حركة انسان فيعلم انه حي ، قال الله تعالى " مادلهم على موته الا دابة الأرض " سورة السبا

اصل الدلالة مصدر كالكناية والامارة ، والدال من حصل منه ذلك [2]

و كما جاء في لسان العرب لابن المنظور (ت 711) في مادة (دلل) ما يلي: قوله تعالى " ثم جعلنا الشمس عليه دليلا " سورة الفرقان 45

وفي الحديث ص : " يمشي على الصراط مذلا " والدليل ما يستدل به

-والدليل: ما يستدل به. والدليل: الدل. وقد دله على الطريق يدله يد له دلالة ودلالة ودلولة، والفتح أعلى

-قوله تعالى : "فادلى دلوه قال يابشرى " سورة يوسف 19

قوله تعالى : " فدلاهما بغرور " ، سورة الأعراف الاية 08

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، مادة (د ل ل)، ص 193

[2] الراغب الاصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد : مفردات في غريب القران ، تح : مركز الدراسات والبحوث ، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز ، ج 1 ص 171

بمعنى دله على الشي يدله دلا فاذل : سدده اليه [1]

–إن هذه المعاني جميعها تصب في باب الإهتداء والتوجيه إلى الطريق أو الشيء، ومعرفة جوانبه.

في الإصلاح:

الدلالة في الاصطلاح تعني "الاستدلال" فهي شقان "دال ومعنى فـ "الدال" فهو المتولد من المعني الأصل

وأما المعنى "sens" فمتولد من[2]:

أ–الدلالة: على الشيء ما يمكن كل ناظر أن يستدل بها عليها كمثل ذكر (الخالق والإبداع) دلالة على الخالق.

ب–الإستبدال: وهو الفعل الذي يقوم به المستدل.

ج–الدلالة: ما يمكن أن يستدل بها كوسيلة من وسائل الحقيقة.

وهذه المعطيات جميعها تصب في ضبط مصطلح الدلالة عند أهل التفسير الذين قالوا بأنها الإشعار بأمر خفي، كما مر معنا في تعريف الراغب الإصفهاني، الذي يؤكد أن الدلالة قد تكون عن قصد كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتاب والعقود والحساب. وهي جميعها علامات سيميائية دالة عند الجاحظ الذي جعلها رموزا غير لغوية. وقد لا تكون بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي مصداقا لقوله تعالى: "ما دلهم على موته إلا دابة الأرض" [سبأ:14]

فالدلالة هنا تعني ارشاد شخص طلب معرفة، وعليه يكون (الدليل) إرشاد إلى شيء مطلوب غير ظاهر وغير واضح لطالبه، فهو متميز بالغموض والخفاء، حتى تتم تجليته ووضوحه. بما يدل عليه، كما هو موضح في الآية الكريمة.

ولعل أشهر التعريفات الإصطلاحية هي تلقى التي قالها المناطقة، والتي تؤكد أن الدلالة هي فهم أمر آخر يدل عليه.

---

[1] ينظر ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب ، تح احمد سالم الكلاني النعيمي ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، بيروت ، ط 1 ، 2011 م ، ج 7 مادة دلل ص 47

[2] ينظر: طلب محمد اسماعيل: مقدمة لدراسة علم الدلالة في وضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص18–19

فمن التعريفات ما تقدم به ابن سينا (ت428هـ) بقوله: "....، معنى دلالة اللفظ: أن يكون إذا ارتسم في الخيال إسم في النفس معنى، فتعرف النفس، أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما الحس على النفس التفتت إلى معناه"[1] أي أن الدلالة هي ثنائية متلازمة من مسموع ومفهوم، المسموع هو اللفظ، والمفهوم هو المعني.

أما أبو هلال العسكري من اللغويين فقال حاول التفريق بين جملة من المصطلحات منها:

الدليل، الدلالة، الاستدلال، الاشارة، والإمارة، دلالة الكلام ودلالة البرهان، وفي ذلك يقول: "إن الدلالة تكون على أربعة أوجه: أحدهما مل يمكن أن يستدل به قصد فاعله ذلك أو لم يقصد، ..... والثاني– العبارة عن الدلالة، يقال للمسؤول: أعد دلالتك. والثالث–الشبهة: يقال: دلالة المخالف كذا أي: شبهته، الرابع–الأمارات: يقول الفقهاء: الدلالة من القياس كذا، والدليل فاعل الدلالة"[2].

يعرفه بعضهم بانه دراسة المعنى او العلم الذي يدرس المعنى ، او ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى ، او ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرهم في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى [3]

يحلينا هذا النص على جملة من الملاحظات نلخصها في الآتي:

–الدلالة ذات بعدين، قد تكون مقصودة أو غير مقصودة.

–الدلالة قد تكون غامضة فيتم توضيحها بتوظيف لفظ آخر دال عليها.

–الدلالة تقوم على المنطق.

–الدلالة تساوي الأمارة، وعليه قد تظهر في العلامات اللسانية والعلامات غير اللسانية أي تتصل بدراسة النماذج الصورية (paradigmes formels) مثل لغة: الرايات، اشارات المرور، والعادات والتقاليد، الملابس،.....الخ

أما هادي نهر: فيرى أنه علم خاص بدراسة المعنى في المقام الأول، وما يحيط بهذه الدراسة أو يتداخل معها في قضايا وفروع كثيرة صارت اليوم من صلب علم الدلالة كدراسة الرموز اللغوية، وغير اللغوية كالعلامات والإشارات الدالة[4].

---

[1] ينظر ابن سينا. كتاب العبارة. كتاب العبارة، ص 18 –19

[2] ابو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق، محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، 1997، ص68

[3] احمد مختار عمر ، علم الدلالة جامعة القاهرة 1985 ص 11

[4] ينظر هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، ط2، الأردن، 2011، ص 27

ومن الملاحظ أن علم الدلالة بالإجماع هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى وكل ما يساعد في الوصول إليه، بغض النظر إن كان الدال على ذلك المعنى لغويا أو غير لغوي.

الخلاصة: نستنتج أن علم الدلالة أنه العلم الذي يجعل المعني محور دراسة اللغة، إذ لا تكسب الألفاظ قيمتها إلا بما تحمله من دلالات. كما يتبين أن العلاقة بين اللفظ ليست ثابتة بل تتأثر بالسياق والاستعمال. ويؤكد أيضا أن المعنى يتنوع بين معجمي وسياقي ومجازي، مما يعكس غنى اللغة. إضافة إلى ذلك يرتبط علم الدلالة بعلوم أخرى كالبلاغة واللسانيات. وأخيرا يبرز دور المتلقي في تأويل المعنى وفهمه.

2-ظهور مصطلح علم الدلالة:

يشير بالمر (palmer) إلى أن هذا المصطلح semantics ظهر أول مرة سنة 1984 في بحث لغوي Reod الصادر عن رابطة اللغويين التاريخيين الأمريكيين تحت عنوان Reflected Meaning المعاني العكسية[1].

وفي سنة 1900 ظهر كتاب ميشال **بريال** Breal سنة 1897 ظابطا مفهوم هذا العلم في كتابه المرسوم دراسات في علم المعنى semantics studies in the science of meaning غير أن ذيوع هذا العلم وانتشاره لم يتحقق إلا سنة 1923 ببزوغ من أشهر الكتب اللسانية التي ألفها الثنائي Ogden و Richards بعنوان the meaning of meaning معنى المعنى. وعلى الرغم من أن مصطلح "علم الدلالة" لم يظهر في ثنائيات الكتاب، غير أنه ظهر في الملحق بمفهومه القديم علم اللغة التاريخي.

ولعل الطرح الجديد الذي استثمره ميشال **بريال** فيمكن في دعوته لجعل المعنى الثلاثي فرعا مستقلا عن الدراسات اللغوية، فلم يعد الإهتمام بذلك مقصورا على المعنى المعجمي فحسب، بل تجاوزه يشمل الجوانب التركيبية القواعدية أيضا، حتى أضحى علما مستقلا فيما بعد له نظرياته ومجالاته وموضوعاته.

ومن هنا ومنه فيمكننا التسليم بأن علم الدلالة هو فرع من فروع علم اللغة، وهو عنصر أساسي "couponents" ومستوى من مستوياته، شأنه في ذلك شأن علم الأصوات، وعلم الصرف وعلم التركيب، فهو يحتل القاعدة الأساسية لكل هذه العلوم مجتمعة، فهي لا تنفك تعتمد عليه في تحليلها اللساني.

موضوع علم الدلالة :

[1] ينظر: بلهر: علم الدلالة: تر: أحمد ظاهر حافظ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2012م، ص 10-11

من خلال التعريفات السابقة يتبين ان موضوع علم الدلالة هو كل شيء يقوم بدور العلامة او الرمز وتختلف هذه العلامات او الرموز وتكون اما إشارة باليد او اماءة بالراس ، او كلمات وجملا ، وقد تكون هذه العلامات والرموز تحمل معنى [1]

ورغم هذا الاهتمام الذي يبديه علم اللغة بدراسة الرموز وانظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة فاننا نجده يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان ومن الموضوعات التي فيتناولها هذا العلم (البنية الدلالية للمفردات اللغوية ، العلاقة الدلالية بين المفردات كالترادف والتضاد ، المعنى الكامل للجملة والعلاقات القواعدية بينها ، علاقة الالفاظ اللغوية بالحقائق الخارجية التي تشير اليها [2]

واذا نظرنا الى الغرب نجد ان بعض الأبحاث التقليدية السائدة عندهم تعرف باسم علم الدلالة التاريخي الذي يدرس الكلمة المفردة ، تاريخها وتطور معانيها عبر العصور [3]

<u>نشأتها:</u>

إرتبطت نشأة العلوم العرفانية بالعديد من علماء الخمسينيات من القرن الماضي، مثال: جورج مللر* * (1920–2012) George Miller في علم النفس العرفاني، وجون مكارثي* (1927–2011) * John Mccarthy ومارفن مينسكي*** وألين نيوويل# (1927–1992) Allen Newell وهربت سيمون##، (1916–2001) Herbet Simon جميعهم في الذكاء الإصتناعي، ولا ننسى نوام تشومسكي(1927–2016) ### Marvin Minsky في اللسانيات، وكذلك أنهم مؤسسو هذا العلم[4] على الرغم من إختلاف تخصصاتهم.

---

[1] احمد مختار ، علم الدلالة عالم الكتب ، مج الدكتور محمد احمد مختار القاهرة بيروت ط 5 1998 ، ص 11–12

[2] محمد يونس علي ، مقدمة في علم الدلالة والتخاطب ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ط 1 2004 ، ص 12

[3] ينظر المرجع نفسه ص 12

[4] ينظر محي الدين محسب الإدراكيات، المرجع السابق، ص 152

–وهذا فيما يخص النشأة أما مرحلة التنظيم والمأسسة فكانت في منتصف سبعينيات القرن الماضي، من خلال تأسيس جمعية العلوم العرفانية وإصدار مجلة "العلوم العرفانية"، كما شهدت هذه المرحلة دخول العلوم العرفانية إلى العديد من الجامعات الأمريكية والأوربية عبر التدريس وأقسام البحث[1] والعامل الرئيسي لظهور هذا النوع من العلوم هو: حاجة الإنسان لتطوير اللغة ليصل بها إلى مستوى عال من التعقيد يحاكي الذهن البشري، ذلك الحاجة وليدة الحرب العالمية، الحرب التي خلقة تشوهات وكوارث على مستوى العالم أجمع، مما إستوجب في ذلك الوقت، السعي إى تطوير تقنيات الطب والمداواة وعلوم الأعصاب ومما إلى ذلك، وهذا ما تطلب فتح المجال امام البحث عن أسرار العقل البشري، ومنه كانت الإنطلاقة للعلوم العرفانية[2] كل هذا ساهم في نشأة العلوم العرفانية إلا أن ظهور هذا المصطلح لأول مرة كان سنة 1973 مع كريستوف هيجنز (1923–2004).

Hugh christopher longuet– Higgins، الذي جمع بين الاستغلال بالكيمياء النظرية ودراسة المخ البشري والذكاء الإصطناعي[3].

–أنواع الدلالة:

يمكننا حصر أنواع الدلالة عند العرب في المخطط التالي:

مخطط أنواع الدلالة عند العرب[4]:

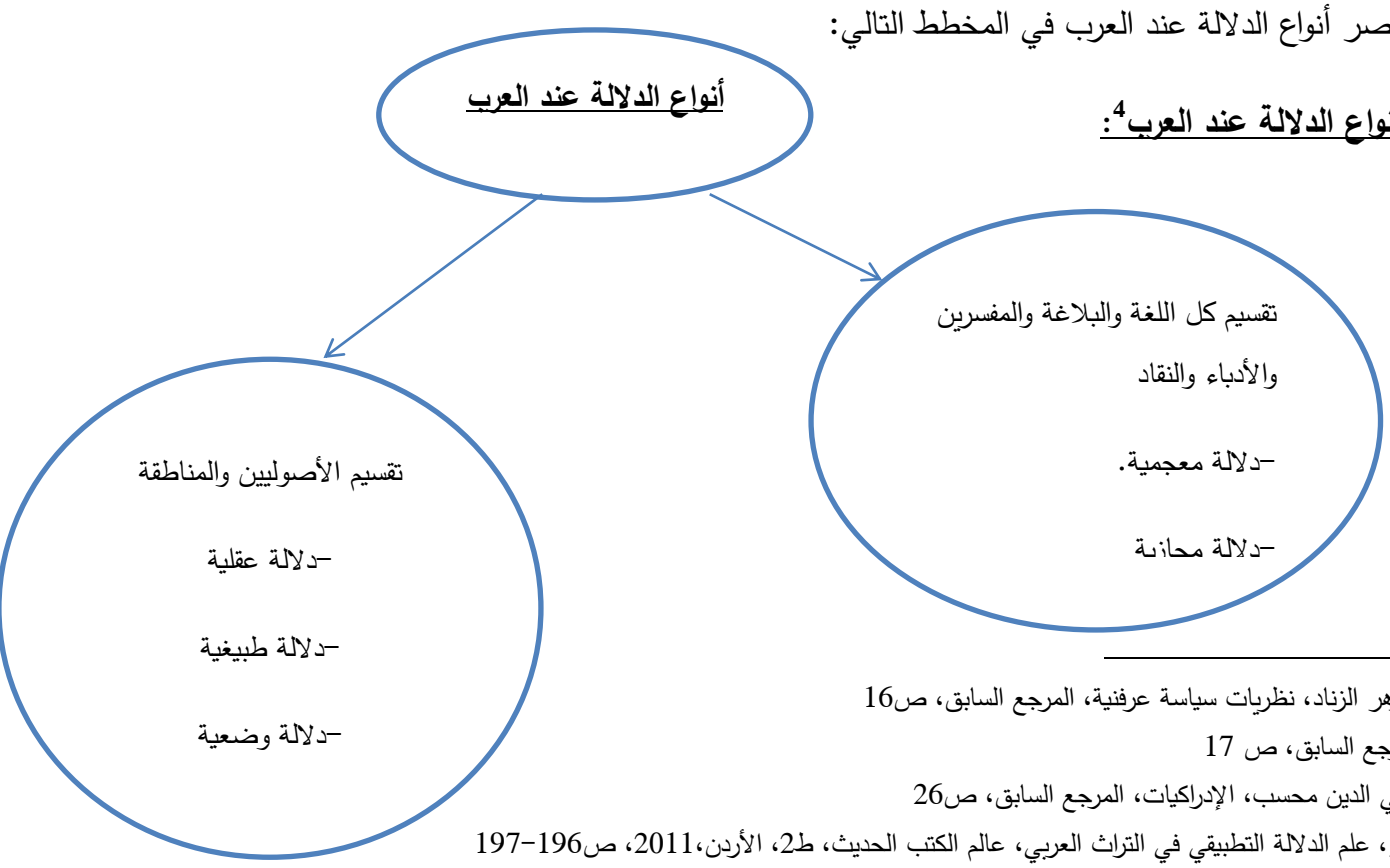

[1] ينظر الأزهر الزناد، نظريات سياسة عرفنية، المرجع السابق، ص16

[2] ينظر المرجع السابق، ص 17

[3] ينظر محي الدين محسب، الإدراكيات، المرجع السابق، ص26

[4] هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، ط2، الأردن،2011، ص196–197

–تكاد تجمع الدراسات العربية في هذا المجال وفي حدود ما إطلعنا عليه طبعا، إن الدلالة اللفظية تنقسم إلى 3 أنواع : عقلية وطبيعية ووضعية

– الدلالة الوضعية: هي الدلالة الإتفاقية والمتعارف عليها بمعنى "جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني" كدلالة الخط والعقد والإشارات والنصب بالرغم من أن هذا التعريف هو لمطلق الوضع، إلا أن الباحثين إستقصوا بالتفصيل الدلالة الوضعية اللفظية، وليس من العسير أحيانا تعميم ذلك على الدلالة الوضعية ككل، طالما أن البحث يتناول الألفاظ والمعاني من حيث دالات ومدلولات[1].

ومن هذا نجد أن الدلالة هي الدلالة المصطلح والمتواضع عليها أي بمعنى متفق عليها.

–الدلالة العقلية: في سياق البحث عن أنواع الدلالات، تقتصر أمثلة الدلالة العقلية على دلالة الأثر على المؤثر كدلالة الدخان على النار وما شابه ذلك، مما يؤدي إلى حصر الدلالة العقلية بعلاقة العلية. وهذا بالفعل هو التعريف الذي يقره التهاوني في قوله: "فالدلالة العقلية هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقا، سواء كان إلتزام أحد المعلولين للآخر كاستلزم الدخان للحرارة"[2].

يتضح لنا مما سبق ذكره أن الدلالة العقلية هو نوع من أنواع الدلالة، فأمثلها تنطوي ضمن دلالة الأثر على المؤثر فهي شبيهة بعلاقة الدخان بالنار، كما تتجلى أكثر عند "التهاوني" وذلك عندما أقر بأن الدلالة العقلية مرتبطة بالعقل بحيث تتولد علاقة ذاتية بين الدال ومدلوله.

–الدلالة الطبيعية: أما الدلالة الطبيعية فيشو بها أكثر من إلتباس، وذلك بسبب المفاهيم الغيبية غير العملية المعطاة لكلمات "طبيعية، طبع، طباع" فالدلالة الطبيعية هي "دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه.

والمراد من العلاقة الطبيعية احداث طبيعية من الطبائع، سواء كانت طبيعية اللفظ أو طبيعية المعنى أو طبيعة المعني، أو طبيعة غيرهما، عروض الدال عند عروض المدلول كدلالة (أح–أح) على السعال، وأصوات

[1]عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط1، ط2، 1985–1994، ص–15

[2]عادل فخوري، علم الدلالة عند العرب بدراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ط2، 1885م، ص23

البهائم عند دعاء بعضهما بعضا، وصوت العصفور عند القبض عليه، فإن الطبيعة تبعث بإحداث تلك الدوال عند عروض تلك المعاني، فالرابطة بين الدال والمدلول ها هنا هو الطبع"[1].

نرى أن الدلالة الطبيعية لا تقتصر على إلتباس واحد فقط، بل تحتوي أكثر من إلتباس وهذا راجع إلى المفاهيم الغيبية، اذن فإن هذه الدلالة تظهر عندما يجد العقل علاقة طبيعية بين الدال ومدلوله، وهذا هو ما يعبر به عن لفظ الطبائع كما تتعدى اللفظ والمعنى. استنتاج يكتب وراء شمس ⟸

يرى شمس الدين محمد بن علي الرازي (ت 850م) في شرحه للغرة أن الدلالة الطبيعية هي: "التي يقتضيها الطبع باقتضاء، أي سبب اقتضاء الطبع صدور ما يدرك عليه اللفظ بيان، كدلالة "أح" بفتح الهمزة أو ضمها والحاء المهملة الساكنة على وجع الصدر، وهذه لا تكون إلا في الألفاظ"[2].

مخطط أنواع الدلالة اللفظية:

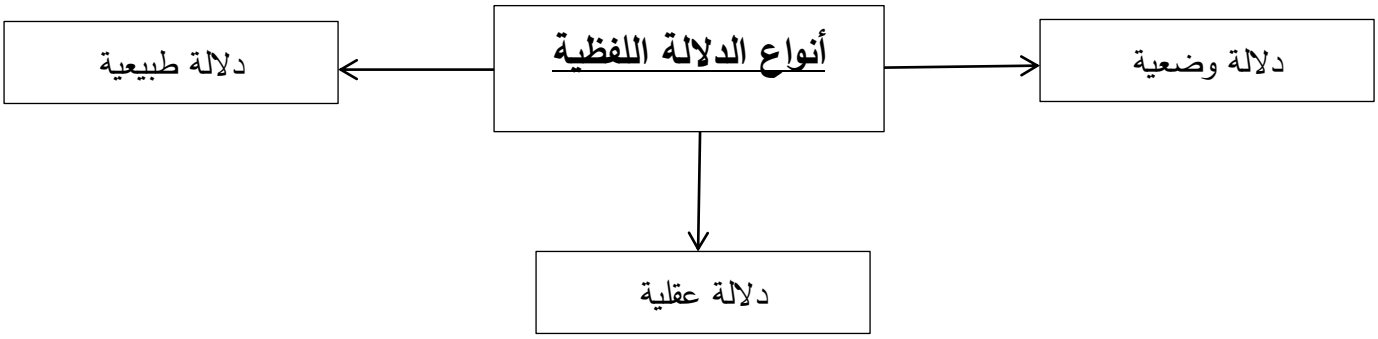

الإستنتاج: نستخلص من أنواع الدلالة أن المعنى اللغوي يتعدد ولا يقتصر على مستوى واحد، بل يتوزع بين دلالات مختلفة مثل الدلالة المعجمية التي تعكس المعنى الأساسي للكلمة، والدلالة السياقية التي تتحدد بحسب موقعها في الكلام والدلالة والتداولية المرتبطة بمقاصد المتكلم وظروف الخطاب. كما تظهر أن فهم اللغة يتطلب مراعاة العلاقة بين اللفظ والمعني في ضوء الإستعمال، وليس بمعزل عنه. وتبرز هذه الأنواع دور الثقافة والخبرة في تأويل المعاني، حيث

[1] عادل فخوري، علم الدلالة عند العرب بدراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ط2، 1885م، ص23-24

[2] محمد بن علي الرازي، شرح الغرة في المنطق، مح : دكتور البير نصري نادر ،دار دمشق ، ج1، دار دمشرق، د.ط، لبنان، ط 1 1993م - 1986 م ، ص29

قد يختلف الفهم من شخص لآخر. كذلك تؤكد اللغة نظام مرن قادر على نقل المعاني الظاهرة والضمنية معا، ومن خلال دراسة أنواع الدلالة يمكن الوصول إلى فهم أعمق للنصوص وتحليلها بدقة خاصة في المجالات الأدبية واللسانية.

الظواهر الدلالية:

1-الترادف:

مفهومه: جاء في معجم الوجيز مفهوم الترادف كما يلي: (ردفه) ردفا ركب خلفه. و: تبعه ويقال. ردف له أمر دهمه. (أردف) الشيء بالشيء أتبعه وفلانا: جعله ردفة وأركبه خلفه. ترادفا: تتابعا. وركب إحداهما خلف الآخر. وترادفت الكلمات: اتخذ معناها مع اختلاف اللفظ"[1].

ومن هنا يتضح لنا مفهوم الترادف والذي يعني التتابع.

أما مفهومه عند أهل العربية والأصول فقد ذكره التهاوني وهو: ترادف لفظين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الإنفراد أو بحسب أصل الوضع على معني أو مدلول واحد مثل أسد، ليث، ضرغام، صيغم[2].

نفهم من هذا أن الترادف هو توالي الألفاظ فيما بينها، بحيث تكون هذه الأخيرة متشابهة في المعنى. أي تحمل معنى واحد.

وقد مر هذا المفهوم بمصطلحات عدة إلا أنها أقل وطأة من الإختلافات التي واكبت مسيرة الإصطلاح في مفهوم الإشتراك اللفظي والأضداد، فقد وسم بـ "التكافىء" وكذلك بما اختلف ألفاظه واتفقت معانيه كما هو الأمر عند الأصمعي ت (218هـ) في كتابه الحامل للإسم نفسه[3].

2-أسبابه:

-فقدان الوصفية: بعض الألفاظ كانت تدل في الماضي على أوصاف محدد لاعتبارات معينة غير أنه مع مرور الزمن توسع في استعمالها ففقدت الوصفية واقتربت من الإسمية واكتفى بالصفة عن الموصوف، وأصبح هذا الوصف اسما مثل "المدام" كانت صفة للخمر تعني "الذي أديم في الدن" وهي الآن تطلق على أنها اسم الخمر[1].

---

[1]ابراهيم مدكور، المعجم الوجيز، مطابع الدراسة الهندسية، جمهورية مصر العربية (مادة رم) (د ج)، ط1، 1980م، ص261

[2]احمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، ص107

[3]مشتاق عباس معن، المعجم لمفضل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص63

يعني بهذا أن هناك بعض العبارات في القديم تحمل أوصافا معينة لكلمات ما، لكن بمرور الوقت فقدت تلك الأوصاف بفضل التوسع بصفة واحدة.

-اختلاط اللهجات العربية: العربية لغة ذات لهجات متعددة تختلف في أسماء بعض الأشياء، فالشيء الواحد قد يسمى عند قبيلة بلفظ وعند أخرى بلفظ آخر، وبسبب اختلاط العرب في حروبهم ومعاشهم وأسواقهم فقد تطغي بعض الألفاظ على بعض، واشتهرت الكلمات التي تعتبر أسهل وأفضل من غيرها فاجتمع للإنسان الواحد أكثر من لفظة للشيء الواحد، من ذلك مثلا: "السكين" يدعوها بذلك أهل مكة وغيرهم وعند بعض الازد يسميها "المدية"[2].

نفهم من هذا أن اختلاط اللهجات العربية سببها الرئيسي الحروب والأسواق، حيث ينتقي كل فرد من أفراد القبائل لغة غيره وهذا من باب التواصل.

-الافتراض من اللغات الأعجمية: فاختلاط العرب بغيرهم من الأمم المعجمية من فرس وروم وأحباش أدى إلى دخول عدد من الكلمات الأعجمية في العربية، بعضها كثر استعماله حتى غلب على نظيره العربي من ذلك النرجس – أعجمي/ العبهر – عربي[3].

-المجاز: المجازات المنسية تعد سببا مهما من أسباب حدوث الترادف، لأنها تصبح مفردات الأصلية في حقبة من تاريخ اللغة، من ذلك تسمية العسل الممزوج بـ "المادية" تشبيهها بالشراب السلس الممزوج[4].

التساهل في الإستعمال: التساهل في إستعمال الكلمة وعدم مراعاة دلالتها الصحيحة يؤدي إلى تداخلها مع بعض الألفاظ في حقلها الدلالي: المائدة: في الأصل لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام وإلا هي خوان[5].

-التغير الصوتي: التغيرات الصوتية التي تحدث للكلمات تخلق منها صورا مختلفة تؤدى المعنى نفسه. وهذه التغيرات فقد تكون سبب:

أ-ابدال حرف بحرف مثل: حثالة وحفالة.

ب-قلب لغوي بتقديم حرف على آخر مثل: صاعقة وصاقعة[1].

---

[1] سالم سليمان الخماس، فقه اللغة موقع لسان العرب، http :www.kamash.cjb.net ، س:14:30 ، 2026/06/02 ، ص 129

[2] المرجع نفسه، ص 130

[3] المرجع نفسه، ص130

[4] المرجع نفسه، ص130

[5] سالم سليمان الخماس، فقه اللغة موقع لسان العرب، http :www.kamash.cjb.net، 14:30 ، 2026/06/02 ص131

–الخلاف في وقوعه: ذهب بعض العلماء إلى إنكار الترادف قال السيوطي: (قال التاج السبكي في شرح المنهاج: "ذهب بعض الناس إلى إنكار الترادف في اللغة العربية ورغم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات كما في "الإنسان" و"البشر" فإن أول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يؤنس والثاني –يعني البشر– باعتبار أنه بادي البشرة.

وكذلك الخنديس: "العقار" فإن الأول باعتباره العتق والثاني باعتبار عقر الدن لشدتها وتكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب[2].

فالمقصود من هذا القول أنه لا يوجد ما يسمى بالترادف لأن الكلمة تتباين مع كلمة أخرى في الصفة وليس المعنى هذا ما ظهر في المثال بالنسبة للإنسان باعتباره مشتق اسمه من الصفة التي يتميز بها الإنسان كالنسيان والأنسة، وهذا كل حسب رأي منكري الترادف.

وممن قال بهذا القول "ابن فارس" ونقله عن شيخه "ثعلب" وممن قال بهذا القول "أبو علي الفارسي"[3].

وقال آخرون إن الترادف واقع وله فوائد، وهو قول كثير ممن ألف في هذا الباب "كابن خلويه" والفيروز بادي" وغيرهم، والحاصل كما قال العلامة –عز الدين بن جماعة–: (أن من جعلها مترادفة ينظر إلى إتحاد دلالتها على الذات ومن يمنع ينظر إلى إختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات، والمتباينة في الصفات) فإذا قلنا على سبيل المثال: "إن الله هو السميع، العليم، البصير، الخالق، الباري، المصور، فهذه الأسماء مترادفة باعتبار دلالتها على ذات واحدة ومسمي واحد هو الله –عز وجل"[4].

نفهم مما سبق ذكره أن الترادف موجود ويظهر ذلك من خلال تشابه الكلمة المترادفة في الذات مع كلمة أخرى وتباينها أيضا في الصفات وأكبر دليل على ذلك أسماء الله الحسنى مرتبطة دلالتها تحت مسمى واحد وهو لفظ الجلالة.

---

[1] المرجع نفسه، ص131

[2] محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة –مفهومه–موضوعاته–قضاياه، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص198–199

[3] المرجع نفسه، ص199

[4] محمد بن ابراهيم الحمد، فقه اللغة، مفهومه، موضوعاته، قضاياه، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص200–201

الخلاصة:

نستخلص من الظواهر الدلالية أن المعنى ليست ثابتا أو معزولا بل يتشكل عبر تفاعل السياق اللغوي والثقافي والإجتماعي.

فهي تكشف عن مرونة اللغة وقدرتها على التعبير عن معان متعددة مثل الترادف والتضاد والمشترك اللفظي، كما تبرز دور المتكلم والسامع في تأويل الخطاب.

وتبين هذه الظواهر أن فهم الدلالة لا يقتصر على المعني المعجمي، بل يتجاوزه إلى المعنى التداولي التي تحدده المقامات والسياقات وأن تحليل الظواهر الدلالية يسهم في تعميق فهم النصوص وتأويلها بدقة أكثر.

المحاور الدلالية: أهم المباحث الدلالية

يقسمها فايز الداية إلى ثلاثة محاور كبرى، يهتم بها مشتغلو علم الدلالة، حيث تتطلب ربطا بجوانب من الدراسات اللغوية، تم تتفرع إلى وجهات من الدراسات اللغوية، ثم تتفرع إلى وجهات تطبيقية وتحليلها يكثر فيها الإجتهاد وتتعدد الأراء، وهي على التوالي[1]:

1: العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول، والمنعكسات الإجتماعية والنفسية والفكرية signification, signifié reference.

2: التطور الدلالي changements des sans، أسبابه وقوانينه، والعلاقات السياقية والموقعية في الحياة والعلم والفن situation – contexe.

3: يتصل بالمجاز وتطبيقاته الدلالية وصلاته الأسلوبية.

ـ نستخلص من أهم المباحث الدلالية أن دراسة المعنى تعد محورا أساسيا في فهم اللغة وتحليلها. إذ تتناول العلاقة بين اللفظ والمعنى من زوايا متعددة تشمل الدلالة المعجمية التي تهتم بالمعنى الأصلي للكلمات، والدلالة السياقية التي تتشكل داخل التركيب اللغوي، والدلالة التداولية التي تربط بمقاصد المتكلم وظروف الإستعمال. كما تبحث المباحث الدلالية في قضايا مثل الترادف والتضاد والمشترك اللفظي، وتكشف عن ظواهر تطور المعنى واتساعه أو تضييقه عبر الزمن. وتبرز كذلك دور الاستعارة والمجاز في نقل المعاني من المستوى الحرفي إلى مستوى أعمق وأكثر

[1] ينظر، فايز فالداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، ط2، سورية، 1996، ص09

تأثيرا. وتؤكد هذه المباحث أن المعنى ليس ثابتا، بل هو نتاج تفاعل بين اللغة والفكر والثقافة والسياق، مما يجعل فهم النصوص يتطلب وعيا بهذه الأبعاد المختلفة. ومن ثم تسهم الدراسات الدلالية في تطوير التحليل اللغوي والنقدي. وتمكن من تفسير الخطاب بدقة سواء في النصوص الأدبية أو العلمية أو التواصل اليومي.

تمهيد

لقد شغلت الإستعارة حيزا كبيرا من اهتمامات المفكرين والبلاغيين والنقاد وقد أصبحت بذلك محط أنظار لدى مختلف التوجهات والتخصصات. حيث كانت مجالا خصبا، نظرا للدور الذي تؤديه في نقل معاني النص باعتبارها ركيزة أساسية فمفهوم الإستعارة ليس وليد اللحظة وإنما هو مفهوم موجود منذ القدم، فقد تم تناولها ضمن أبحاثهم البلاغية وكل واحد منها أعطاها تصورا من جهة نظره الخاصة فوضع بذلك بمفهومين لغوي وآخر اصطلاحي يحدد معانيها، وهذا ما دفع بن إلى رصد بعض التعريفات التي اتفقت على معنى العام للاستعارة، ألا وهو أخذ الشيء من مكانه الأصلي إلى مكان آخر والتداول والعطاء والطلب.

المبحث الأول: الإستعارة في الفكر البلاغي القديم

I -مفهوم الاستعارة عند العرب:

لغة: من خلال البحث في المعاجم اللغوية تستوقفنا جملة من المعاني تدور حول الجذر اللغوي لكلمة (عور) حيث أن معنى هذه الكلمة لا يخرج من إطار الأخذ والطلب وقد جاء في معجم أساس البلاغة، "وتعاورت الرياح رسم الدار" وتعاورنا العواري. و"أستعار وأستعار سهما من كنانته". و"رأى الدهر يستعيرني شباني أي يأخذه مني". وسيف أعيرته المنية، قال النابغة: (من البحر الطويل) وأنت الربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعيرته المنية قاطع[1].

-ذكر إبن منظور في معجمه لسان العرب في المادة (ع.و.ر) الإستعارة بقوله: العارية والعراة ماتداولوه وقد أعار الشيء وأعاره منه وعاره إياه، والمعاورة والتعاور: شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين إثنين، تعور وإستعار هي طلب العارية وإستعار منه طلب منه أن يعيره إياه[2].

[1] أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ع.و.ر)، تح، محمد باسل، عيون السود، الجزء الأول، ط01،(1998م/1419هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص684.

[2] ابن المنظور الإفريقي المصري لسان العرب(ع.و.ر)، نشر أدب الحوزة، ج7، إيران(د.ط)، 1405م،1363ق، ص618.

–والإستعارة فهي "نقل شيء ما من شخص إلى شخص آخر للإنتفاع به زمنا على أن يرد عند الطلب او إنقضاء المدة وللإسعارة أكثر منها:

يقول الجاحظ: "تسمية الشيء بغيره إذا قام مقامه"

–ونجد هذا موضحا عند "ابن الأثير" "ت 736هـ" بقوله: "الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي إستعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا لابد إذ لا يعرفه حتى يستعير منه"[1].

فالأشخاص هم الألفاظ والكلمات والمعرفة التي تبين هؤلاء الأشخاص هي علاقة المشابهة بين الألفاظ والتي لولاها ما صحت الإستعارة.

أما في معجم محيط المحيط فنجدها مشتقة من لفظة العرية وهي العطية وقيل سميت عارية لتعتز بها عن العوض وقيل من العار أو العري خطأ[2].

فنجد أن دلالة هذه الكلمة قارة وثابتة في المعاجم أو الكتب القديمة، فلم نلاحظ اختلافا جوهريا في المدلولات اللغوية للفظة "استعارة" ففي مجمل قولنا نجد بأن معظم هته المعاجم اتفقت على الصورة العامة لمعنى اللفظة.

أما في المعجم الوسيط فجاءت بمعنى استعارة الشئ: طلب منه أن يعطيه إياه عارية ويقال: "استعار إياه والاستعارة في علم البيان: استعمال كلمة بدل أخرى لعلاقة مشابهة مع القرينة الدالة على هذا الإستعمال كاستعمال أسد في الشجاع"[3] وهذا التعريف نلاحظ أنه خرج عن المعنى اللغوي إلى الإستعمال البلاغي للكلمة.

وتعرف أيضا: "....مأخوذة من العارية، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه"[4].

مما سبق نجد أن المعاني اللغوية للإستعارة في المعاجم كلها تصب في معنى واحد وهو التداول ونقل الشيء من شخص لآخر، قصد الإستفادة من منه والإنتفاع به ولا يكون هذا إلا بين شخصين بينهما معرفة.

---

[1] محمد علي ابراهيم –حسين على الطائي، الاستعارة في الحديث النبوي الشريف (صحيح البخاري)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1971م، ص9

[2] ينظر بطرس البستاني، محيط المحيط (د.ط)، مادة (ع و ل)، بيروت–لبنان، 1977م، ص663

[3] ينظر، ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، د.ط، القاهرة –مصر، د.ت، ص636

[4] ينظر، احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي، العرق–بغداد، 1983م، ص136

مثلما تعددت المعاني والتعاريف اللغوية للإستعارة تعددت المعاني الإصطلاحية له عند العلماء والمختصين فهناك صعوبة في تحديد المعنى الإصطلاحي للاستعارة والدليل على ذلك التعدد الهائل للتعاريف الإصطلاحية فقد أثار مصطلح الإستعارة جدلا واسعا بين النقاده.

اصطلاحا: ان معظم التعريفات الاصطلاحية المقدمة للإستعارة –وإن لم نقل جميعها– تتشارك وتتقاطع فيما بينها خاصة بين العلماء العرب القدامى البلاغيون منها والنقاد.

فجميع تلك التعريفات أو التحديدات جاءت من أجل بيان القيمة الجمالية إلى جانب القيمة التعبيرية للإستعارة، ويكفينا هذا الصدد أن نجمع تلك التعريفات المنسوبة إلى أصحابها ولكن سنؤجل هذا العمل إلى موضع لاحق. أما الآن فإننا سنورد تعريفات عامة حول مفهوم الإستعارة.

–"الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعني وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه والإشارة إليه بالقليل أو تحسين الذي يبرز فيه".

وهي كذلك ما كانت علاقته تشبيه لما وضع له، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقق معناها حسا وعقلا، أي تناول أمرا معلوما يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال أن اللفظ من مسماه الأصلي، فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه[1].

علم البيان: "عيارة عن نوع المجاز"[2] بمعنى مجاز علاقته المشابهة مفردا كانت أو مركبا، وقد تخص بالمفردة منه تقابل بالتمثيل حينئذ، عمل في مواضع كثيرة منها الكشاف والتمثيل.

وي نقل اللفظ من معناه الذي عرف به ولأن الاستعارة أبلغ من التشبيه فبلاغة الاستعارة في حذف أحد طرفي التشبيه فالغاية من التشبيه إلحاق كامل بناقص ولكنهما في الاستعارة عبارة عن دعوى للإتحاد بينهما ادعاء أن المشتبه عين المشبه به وبلاغة الكناية في إخفاء المعنى[3] ويعرفها الجرجاني بقوله: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ

[1] الخطيب قزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان والبديع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1424ه/2003، جدة، مج: 2003

[2] ينظر، الشيخ المولودى محمد اعلى بن على التهاوني، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية، شركة خياط للكتب والنشر، ص944

[3] مريم شوبكي، المسبحات في القرآن الكريم، دراسة في دلالية بيانية، دار الحنان للنشر والتوزيع، 2015م، ص175س

أصل في الوضع اللغوي معروف، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"[1].

ويعرف القاضي الجرجاني (392هـ) الاستعارة بقوله: "إنما الاستعارة من اكتفى فيها بالإسم المستعار على الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريبا الشبه، ومناسبة المستعار للمستعار منه، وإمتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا توجد بينهم منافرة، ولا يتبين في إحداهما أعراض عند الآخر"[2] فالاستعارة عند القاضي الجرجاني ما اكتفت بالإسم المستعار، وفي تعريفه للإستعارة يشترط المناسبة بين المستعار والمستعار منه والمزج بين اللفظ والمعنى ليتحقق ما يسمى بالإنسجام.

أما أبو هلال العسكري (395هـ) فيعرفها في كتابه الصناعتين بقوله: "الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل أو تحسين الذي يبرز فيه"[3] نستنتج مما سبق أبو هلال العسكري يرى أن الاستعارة هي نقل عبارة ما من موضعها الأصلي وذلك بغرض شرح المعنى والإبانة عنه أو يكون النقل لغرض الإشارة إلى المعنى ولو بالقليل، وذلك لتقريب المعنى وتوضيحه لذهن السامع.

إن تعريف الاستعارة المقدم في القاموس الذي صنفه جونسون يشير إلى أنها تقريبا إساءة للغة[4]. فالاستعارة هي: استخدام كلمات في غير معناها الأصلي وفي غير ما وضعت له. فاللغة رداء للفكر, أما الاستعارة فهي جزء من طريقة التعبير التي يختارها الكاتب لكي يزخرف به الفكر، وإذا اعتمدنا على هذه الفكرة فإننا نحاول حصر وظيفة الاستعارة فالزخرفة وحسن التصوير فقط، لكن هذا يتنافى مع ما تنادى به النظريات الجديدة التي تنظر للاستعارة بوصفها آلة للتواصل وحسن إفهام المخاطب وتبليغ الرسالة.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: الدكتور عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1422هـ 2001م، ص31

[2] ينظر، عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المشب والمشتبي وخصومه، تح: علي محمد البجاوي وأبو الفضل ابراهيم، دار القلم، د ط، بيروت، د س، ص41

[3] ينظر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهيل العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، د ط، 1986م، ص268

[4] ينظر، يحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج1، د ط، مطبعة المقتطف، القاهرة –مصر، 1914م، ص200

ولنقتبس مرة أخرى ما قاله جونسون: "أما بخصوص التعبيرات الاستعارية فهي امتياز كبير للأسلوب عندما تستخدم بصورة مناسبة لأنها تعطيك فكرتين مقابل فكرة واحدة"[1].

ومن هنا نلاحظ أن مقولة جونسون الأخيرة تقودنا إلى القول بأن للجمل الاستعارية هي جمل اختزالية، فهي تنضوي على معنيين: الأول (أصلي حرفي)، أما الثاني فهو المعنى الذي نكتشفه إذا ما أخضعنا المعنى الحرفي إلى الظروف وملابسات القول، مع وجود علامة (أوقونية) تمنعنا من ارادة المعنى الحقيقي.

وقد حدد أركان الاستعارة فاشترط أنه لابد في الاستعارة من اعتبار 3 أصول:

- المستعار
- المستعار منه
- المستعار له[2]

فالمستعار: هو الذي ينقل من أصل إلى فرع للإبانة والمستعار منه والمستعار له لفظتان حملت إحداهما على الأخرى وكل لفظة منها حقيقة والمحمول عليه مجازية الموضوع مثال ذلك قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيبا" (سورة مريم الآية 04)

هو كذلك الإشتعال وقد نقل من الأصل وهو النار والاشتعال لها والاشتعال لها حقيقة والمستعار له الشيب والاشتعال له مجاز[3].

ويمكن فهم ذلك من خلال المخطط التالي[4]:

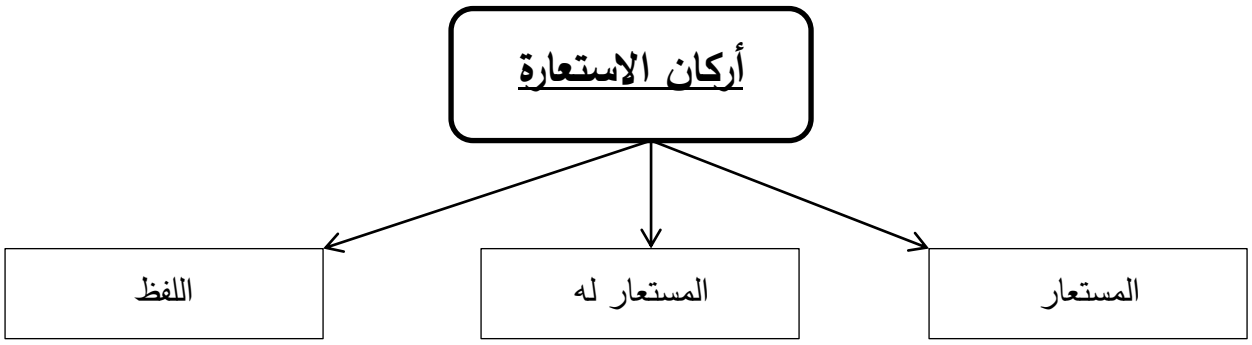

[1]تيرنس هوكس، الاستعارة، تر: عمرو زكريا عبد الله، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة –مصر، 2016م، ص44

[2]ضياء الدين بن الأثير، دراسات في البلاغة، عبد الواحد حسن الشيخ، مؤسسة الشباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م، ص163

[3]ينظر: ضياء الدين بن الأثير، المرجع نفسه، ص163

[4]محمد مصطفى أبو الشوارب واحمد محمود المصري، قطوف بلاغية، دار الوفاء لدين الطباعة والنشر، 01 يناير 2006م، ص70-71

وتعد الاستعارة أهم أنواع الانزياح الدلالي، من حيث نقل اللفظ عن مسماه الأصلي إلى اسم آخر وتشبيه حذف أحد طرفيه وخرج بذلك عن التقدير والمباشرة فكانت أعلى مراتب التشبيه وهي أولى مراتب الاستعارة ولذلك فضلت الاستعارة قديما وحديثا على التشبيه من حيث قيمتها الفنية والذي تحقق بذلك تفاعل حي في الدلالة وذلك الثراء الذي تتميز ويعيزي إلى أنها تمثل أقصى درجات الإنزياح الدلالي[1].

الخلاصة: مما سبق من خلال ما تطرقنا للتعريف اللغوي والاصطلاحي نستنتج أن الاستعارة هي ضرب المجاز اللغوي الذي يتكون من طرفين المشبه والمشبه وهي مجاز يقوم على علاقة المشابهة بين المستعار والمستعار له وهي رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخره.

ا-مفهوم الاستعارة التصويرية وأقسامها عند البلاغيين العرب:

قبل الخوض في الحديث عن الاستعارة التصويرية وجب الوقوف عن حد الاستعارة والتصور كل منهما على حدة. حيث أن الاستعارة كما عرفها عبد القاهر الجرجاني ت (471) في "أسرار البلاغة" بقوله: "اما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول وتستفتي فيه الافهام والأذهان"[2]

وفي هذا التعريف اشارة إلى أن الاستعارة عبارة عن اسقاطات استعارية بين مجال مصدر ومجال هدف أما التصور فيعرفه الشريف الجرجاني في كتاب التعريفات على أنه حصول صورة الشيء في العقل[3] ومما سبق نستنتج أن الاستعارة التصويرية هي حدوث صورة مجردة في الذهن نتيجة مجموعة من الألفاظ تهدف إلى رسم صورة تمثيلة لها.

لتصبح الاستعارة عنده ضرورة دلالية كما أنها ضرورة عقلية باعتبار أن العقل "عضو رابط لا يعمل إلا بهذا الأسلوب، وهو يستطيع أن يربط أي شيئين بطرق مختلفة لا يحصيها عد"[4]، وهذا الربط الذي قام به ريتشاردر بين الاستعارة والعقل هو بمثابة نظرة استشراقية حول مستقبل الاستعارة في ظل العرفانية[5]، وخير دليل على كلامنا قوله: "ان

---

[2]الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قراءة وتعليق، شاكر، محمد محمود، دار المدني، السعودية، ص20

[3]الجرجاني، الشريف، 1985، التعريفات، مكتبة لبنان، لبنان، ص61

[4]المرجع السابق ، ص147

[5]ينظر: المرجع نفسه، ص147

التاريخ والشعر وكثيرا من نشاط الإنسان هو عمليات استعارية لم تتضح بعد أركانها"[1]، وليأتي في زمن لاحق عصر لايكوف lakoff، وجونسن Johnson الذين اكتمل صرح الاستعارة التصويرية على يديهما.

الاستعارة التصويرية Coceptual Metaphor:

وتعرف الاستعارة من منظور عرفاني بأنها "فهم مجال تصوري واحد في ضوء مجال تصوري آخر"[2] وهي "ظاهرة مركزية غالبة في دلالة الكلام العادي اليومي وهي جزء من الفكر من حيث مثلت أداة في تصور العالم والأشياء وتمثلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من النظام العرفني"[3] ويستخدم الأزهر الزناد مصطلح "العرفني" للدلالة على "العرفاني" ويطلق على هذا النوع من الاستعارة اسم الاستعارة المفهومية ذلك أنها "أداة مفهمة وتمثيل وتصور يعم كل مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجردة والمتصلة بالمجالات الأساسية من قبيل الزمن والأوضاع والمكان والعلاقات والأحداث والتغير والجهل وما إليها"[4] وأما عبد الرحمن طعمة فيعرف الاستعارة التصورية على أنها "تعبير قد يبدو شاذا لكنه قابل للاستيعاب من جهة كونه مفهوما أو قابلا للتصور Conveptual أو أنه يمثل فكرة عامة تحمل معنى ما"[5].

ويضيف في معنى آخر أن "الاستخدام الاستعاري للغة هو ابداع الذهني في أعلى مستوى له"[6] فالاستعارة من زاوية نظر عرفانية لم تعد "طرفا في الكلام عن الشيء بمفردات شيء وآخر لكنها أدلة أيضا على أننا نفكر في شيء بمفردات شيء"[7] مما يعني أننا حين نستخدمها في كلامنا، نحن في الواقع نفكر استعاريا باللغة لنعبر عما هو مجرد غير محسوس، بما هو مادي ملموس، ليكون الاسقاط بين مجال مصدر ومجال هدف، حيث أن المجال المصدر مرتبط بتجاربنا الجسدية في حياتنا اليومية، أما المجال الهدف فهو المجال المجرد الذي نقوم بعملية الاسقاط على مستواه ليسهل الفهم وتتضح الرؤيا._____

[1]ينظر: المرجع السابق، ص149

[2]التركي ابراهيم، بن منصور، 2017، البعد الفكري الثقافي للاستعارة في البلاغة العرفانية، نجلة فصول، مصر، مجلد 4/25، عدد 100، ص 451-567 ص451

[3]الزناد الأزهر، 2009، نظريات لسانية عرفانية (الدار العربية للعلوم، بيروت، دار محمد علي النشر، تونس، منشورات الاختلاف، الجزائر)، ص142

[4]المرجع نفسه، ص 142-143

[5]طعمة عبد الرحمن، 2020، اللغة والمعنى والتواصل "النموذج العرفاني وابعاده التداولية"، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص39

[6]المرجع نفسه، ص 41

[7]سيمينو، ايلينا، 2013، الاستعارة في الخطاب ترجمة عبد اللطيف، عماد، وتوفيق خالد، المركز القومي للترجمة، مصر، ص29

نستنتج من هذا المفهوم أن الاستعارة التصورية أنها ليست مجرد أسلوب بلاغي للتزيين، بل هي آلية ذهنية عميقة ينظم بها الإنسان تفكيره وفهمه للعالم. فهي تقوم على نقل المعنى من مجال مفهومي مألوف ومحسوس إلى مجال آخر أكثر تجريدا مما يسهم في تبسيط المفاهيم المعقدة. وتظهر الاستعارة التصورية أن اللغة ليست منفصلة عن الفكر، بل هي إنعكاس مباشر لبنية الادراك الإنساني. كما تكشف عن أن تجاربنا الجسدية والحسية تلعب دورا أساسيا في تشكيل معانينا اللغوية. زمن خلالها مدرك أن العديد من التعابير اليومية مبنية على استعارات غير واعية مثل تصور الزمن كمسار أو الحياة كرحلة. وتبرز أيضا أن الاستعارة ليست ثابتة، بل تختلف باختلاف الثقافات والخبرات. إضافة إلى ذلك، فإنها تؤكد تداخل اللغة مع مجالات معرفية أخرى كعلم النفس والفلسفة. وبالتالي، فإن دراسة الاستعارة التصورية تفتح أفاقا لفهم أعمق لكيفية بناء المعنى وانتاجه. وفي الأخير، يمكن القول انها أداة أساسية لفهم العلاقة بين اللغة والفكر والإدراك الإنساني.

ا-<u>الاستعارة عن البلاغيين العرب:</u>

ان موضوع الاستعارة ليس بالجديد كل الجدة، إنما هو موضوع شغل الباحثين فكتبوا فيه من المؤلفات والدراسات قد ما نحصيه بالمئات، وقد احتل هذا الموضوع مكانة مرموقة وان كانت قد أدمجت ضمن مجال عالم ألا وهو علم البيان ومن ثم ضمن مجال أعم وهو البلاغة.

ولعل هذا التعريف أو التحديد أقرب للمعنى اللغوي العام غير المفصل، فترى أنه لم يحاول حصر أنواعها مثلا، وهذا ما قد ساد عند معظم البلاغيين الأوائل. فنلاحظ كذلك أن قدامة ابن جعفر (ت 337هـ) لم يخصص بابا خاصا للاستعارة مثلها مثل باقي الفنون البلاغية، وإنما تكلم عنها ضمن حديثه عن عيوب اللفظ أو ما أسماه بالمعاظلة، وهو متداخلة الشيء بالشيء، وذلك في مؤلفة "نقد الشعر"[1] كما أنه لم يضع لها تعريفا صريحا.

ومن هذا المنطلق من هذا المنطلق فالرماني حدد حيز الاستعارة في العبارة، أي على المستوى الدلالي الذي يتجاوز بطبيعة الحال المعنى الأولى. بمعنى آخر الأداة الشبه في التشبيه استعارة عنده هي دلالة ثانية يخلقها التركيب. وقد فرق في موضع آخر بينهما وبين التشبيه ينقل الكلمة في الاستعارة وأداة الشبه في التشبيه، يتواصل البحث في الاستعارة وتحديد مفهومها في تحديد خصائصها ومكوناتها الأساسية.

[1]ينظر: المرجع السابق ، ص6

إذ نرى ذلك جليا عند القاضي الجرجاني (ت 392هـ) حيث يعتبر الاستعارة ما استوفينا به عن الأصل واكتفينا بالاسم المستعار، ونقلت العبارة فجعلت مكان غيرها وقوامها تقريب الشبه....حتى تبين لنا منافرة المستعار له من المستعار منه[1].

ولكن مما لاشك فيه أنه ما أردنا تصفح بعض الدراسات التي أقيمت حول الاستعارة وماهيتها فإنه لا يمكننا تجاهل انجازات عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) المبذولة والتي بفضلها اتضح مفهوم الاستعارة بأن ضبط تعريفا لها بقوله: "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به، فتعيره المشبه وتجريه عليه".

فهذا العالم القذ تكلم عن الاستعارة بطريقة لم تكن عند سابقيه وربما لاحقيه أيضا، فهي عنده ليس خاصلة في اللفظ وإنما في فهم الإنسان لمعنى اللفظ[2].

أما السكاكي (ت 626هـ) فقد استقر عنده مصطلح الاستعارة في كتابه مفتاح العلوم، حيث عرفها بقوله: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[3].

وما يمكننا أن نختم به هذه النقطة، التصريح بأن الاستعارة عند علمائنات العرب القدامى ليست مجرد زخرف لفظي يأتي لتزيين الكلام، وإنما هي فن قولي تداولي يعطى للكلام قوة دلالية ووقعا على نفسية المتلقى لمدى تأثيرها واستحسانها في القول[4].

ومن ثمة سنعرض رأي بعض النقاد العرب المحدثين في تعريفهم للاستعارة، إذ أن فكرة كون الاستعارة ليست مجرد زخرف لفظي حاضرة بدورها لدى العرب المحدثين ومنهم مصطفى ناصف الذي تطرق إلى وظيفتها داخل النظام الكلامي، فيراها جزءا أساسيا من نظرية المعنى[5]. فيرى بأن التغيير الاستعاري الغرض منه هو غرض أسلوبي فيمكن أن يشير إلى شيء مجسم لا يوجد في التغير الحرفي.

---

[1] ينظر: مفهوم الاستعارة والمحدثين، المرجع السابق، ص15

[2] ينظر: مصطفى ناصف عبد المالك مرتاض، المعنى في النقد العربي، د.ط، مطابع دار القلم، القاهرة، مصر، 1965م، ص84

[3] علاء نور الدين، عبد القاهر الجرجاني، في قراءات البلاغيين المحدثين، د.ط، منشآة المعارض، مصر، 2006م، ص323-324

[4] فاضل عبود التميمي، حضور النص قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب، ط1، دار مجدلاوي، عمان-الأردن، 2012م، ص35-36

[5] سعبد السلام عشير، عندما نتواصل تغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د.ط، افريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2006م، ص114

وإذا ما تطرقنا رأي الباحثين العرب المحدثين حول الاستعارة فإنه لا مناص من وروود مصطلح آخر يتداخل مع مصطلح الاستعارة وهو "الصورة" فارجعوا الصورة إلى الاستعارة. ونرى في ذلك إجحافا وإهمالا لباقي الصور من كناية وتشبيه، ومجاز بأنواعه.

ومن بين الدارسين الذين أسهبوا في الحديث عن الفرق بين الصورة والاستعارة والربط بينهما نجد: عز الدين اسماعيل ومحمد زكي العشماوي، احسان عباس، نصرت صالح وأحمد الشايب، فهم يرون بأن الاستعارة موافقة للصورة وما تمنحه من أساس ملموس ووسيلة جوهرية لتلمس التفريد وتحيد ما أمكن من مظاهره، إذ تبوأت الصورة مكانة مهمة في مناهج النقد المختلفة فوضعها بذلك النقاد في مقدمة وسائلهم لدراسة جوهر الشعر وما يتعلق به من مؤثرات[1].

وهذا الإهتمام مرده إلى تغير مفهوم الصورة نفسه، لتغير مفهوم الشعر في حد ذاته باعتبارها جوهر الشعر، أما عن غموض معنى الصورة في النقد العربي الحديث فترجمه بشرى موسى صالح إلى واحد من أهم الأسباب وهو ذلك التداخل بين الدلالات وفقدان الوعي النقدي المنهجي[2].

ومن الجدير بالذكر ملاحظة أن ابن المعتز يجعل من الاستعارة تشبيها ذكرا طرفاه وحذف منه الوجه والأداة، وهو ما سماه المتأخرون بالتشبيه البليغ كما هو ظاهر من أمثلته: الفكرة مخ العمل، وقول علي رضي الله عنه: "العلم قفل، مفتاحه السؤال" وقول عائشة رضي الله عنها: "كان عمله ديمة"[3].

الخلاصة:

في الأخير نستخلص إلا أن نقادنا العرب المحدثين لم يبتعدوا كثيرا عما تناوله البلاغيون القدامى، الذين نادوا بفكرة الادعاء في الاستعارة وهي النواة لها ما يشاكلها في النقد الغرب.

---

[1] بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي دار البيضاء، المغرب، 1994م، ص7

[2] الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، 1990م، ص144

[3] زينب يوسف عبد الله هاشم، الاستعارة عند عبد القادر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستر في البلاغة العربية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا فرع البلاغة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القوي، 1994م–1414هـ، ص9–10

II-تقسيمات الاستعارة لدى العرب القدامى:

أما عن التقسيمات التي يرتضيها البلاغيون القدامى فهي كثيرة ومن أبرزها التقسيم الذي وضعه السكاكي باعتباره بحث في التقسيمات الاستعارة بعد عبد القاهر الجرجاني وذلك بفضل جهوده وبحثه وتقسيمه يتضح لنا من خلال المخطط الآتي[1]:

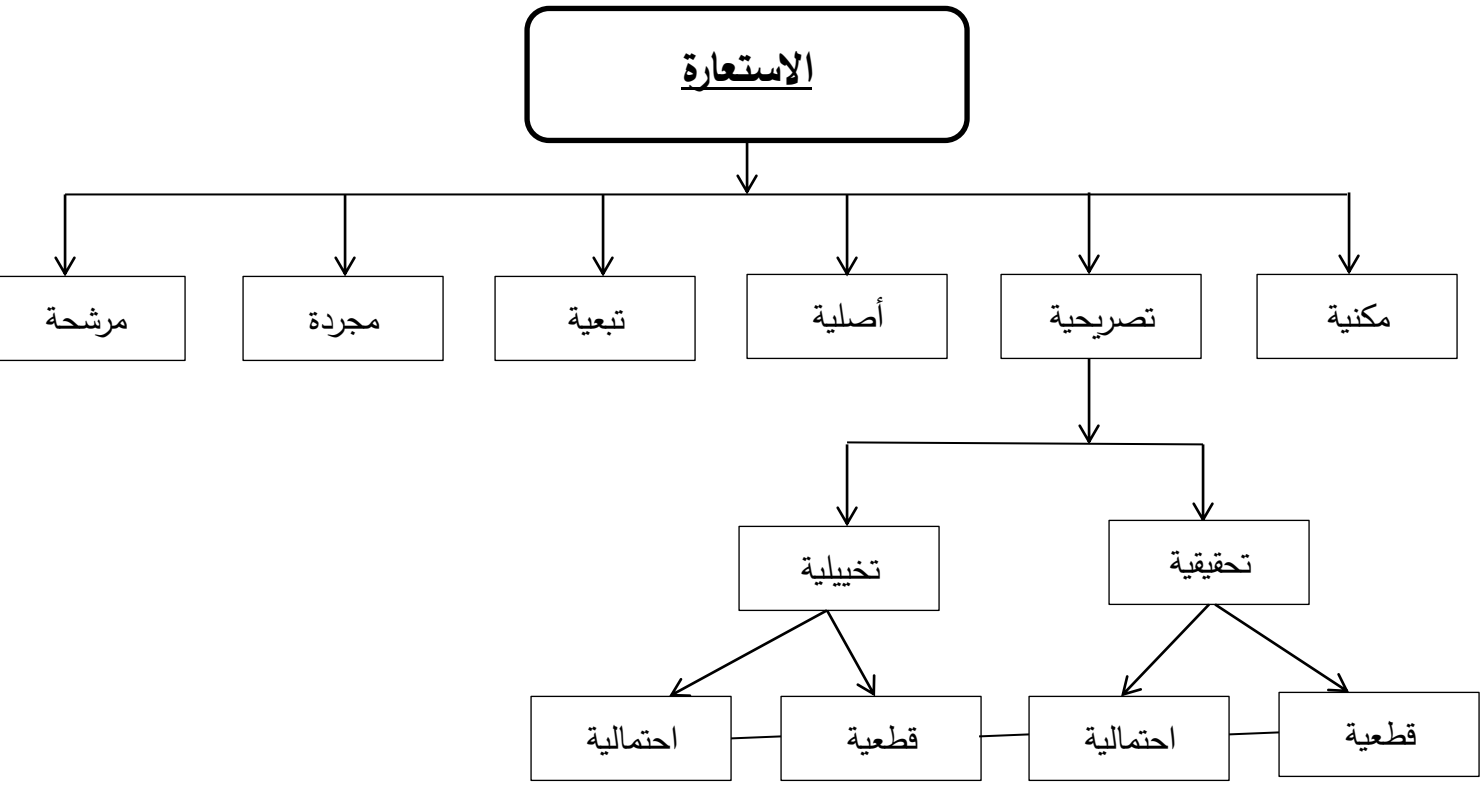

فقد قسم الاستعارة إلى أصلية وتبعية باعتبارة الكلمة التي تجري فيها. فالأصلية: هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وأسد وكقيام وقعود، ووجه كونها أصلية هو ما عرفت أن الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار له بالمستعار منه.

التبعية: هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف[2].

أما المجردة فتقع إذا ما عقبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريغ كلام ملائم له. وتكون الاستعارة المرشحة حيثما عقبت بصفات أو تفريغ كلام ملائم للمستعار منه[3].

[1]الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1990م، ص114

[2]السكاكي، مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1987م، ص380

[3]الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، 1990م، ص114

أما القسم الأول من الاستعارات فهو الاستعارة المكنية وهي ما حذف فيها المشبه ورمز إليها بشيء من لوازمه ومن البلاغيين من يسمى هذا النوع من الاستعارات التشخيص[1] حيث تمثل فيه المعاني والحمادات إلى أشخاص تكتسب صفات الكائنات الحية.

والقسم الثاني هو الاستعارة التصريحية والتي يصرح فيها بلفظ المشبه به أو ما استعير فيها لفظ المشبه للمشبه به، وهذان القسمان كانا باعتبار ذكر أحد طرفي الاستعارة أو حذفه.

أما الأخيرة –الاستعارة التصريحية– فقد قسمها السكاكي بدورها إلى قسمين: التصريحية التحقيقية والتصريحية التخييلية.

فأما التصريحية التحقيقية: فهي أن تجد وضفا مشتركا بين ملزومين يختلفان في الحقيقة وهذا الوصف موجود في أحدهما ثم أن تريد إلتحاق الأضعف بالأقوى على وجه التسوية بينهما فتدخل بذلك الأضعف في جنس الأقوى وتطلق اسمه عليه[2].

فأما عن الصنف الثاني التصريحية التخييلية فهي أن تسمى باسم صورة متحققة، صورة عندك وهمية تقدرها مشابهة لها مفردا في الذكر، في ضمن مانعه من حمل الاسم عن ما يسبق منه إلى الفهم.

ومن هنا يمكننا أن نستخلص أن الدراسة التقليدية البلاغية قد عرضت موضوع الاستعارة عرضا تاريخيا. وقد قامت هته الدراسة على مفهومي النقل والعلاقة ليحاول بعد ذلك نقادنا العرب المحدثون التخلي عن هته الفكرة أو الابتعاد عنها لو بقليل متأثرين في ذلك بما طرحته الدراسات اللغوية وهذا ما سنحاول تباينه في ما يلحق.

[1] عبد العزيز عتيق، علم البيان، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، 1405هـ/1985م، ص179

II-الاستعارة عند الغرب:

1-القدامى:

لم تبتعد البلاغة الغربية في تعريفها للاستعارة عن مبدأ النقل الذي قال به أرسطو، فالاستعارة عند معظم البلاغيين الغربيين القدامى لا تخرج عن كونها عملية تحويل اسم شيء إلى شيء آخر.

فلم يكن غير اريسطو الذي قال فيه "فن الشعر" (أن أعظم شيء هو القدرة على صياغة الاستعارة)[1] واستأنف القول بأن نوه إلى أن صياغة استعارات جديدة يعني القدرة على رؤية التشابهات[2].

فنلاحظ أن أرسطو قد وهب مكانة التشريف لهذه الملكة اللغوية التي تكمن في القدرة على صياغة الاستعارة ويرى أن صياغتها تعكس قدرة المتكلم على استنباط المتشابهات بين الأشياء.

ويقول أمبرتو إيكو في معرض حديثه عن تعريف الاستعارة في البلاغة الغربية التقليدية: "غالبا ما تجد المعاجم العادية نفسها في حرج عن التعريف بالاستعارة.....فإن أفضل المعاجم لا تكاد تبليغ في الغالب تحصيل حاصل، من ذلك تحويل موضوع إلى موضوع آخر غير علاقة مماثلة"[3].

فأمبرتو في هذا الصدد يعيب قصور المعاجم الغربية التقليدية في وضع التعريف للاستعارة فينعتها بالحرج، ويقول بأن أقصى ما استطاعت أن تقدمه من تعاريف للاستعارة هو تحصيا حاصل.

ليأتي ديمارسيه Dumarsais ويعرفها في مختصره "المجازات" بوصفها محسنا تنقل بفضله الدلالة الحقيقية لاسم ما دلالة أخرى لا تناسبها إلا بفضل تشبيه يوجد في الذهن، ان كلمة مستخدمة بمعنى استعارى تفقد دلالتها الحقيقية وتكتسب دلالة جديدة ولا تتبادر إلى الذهن إلا بفضل المقارنة التي يقام بها بين المعنى الحقيقي لهذه الكلمة والمعنى الذي يقارن به[4].

---

[1]ينظر: آ-أ-ريتشاردر، فلسفة البلاغة، تر:سعيد الحنصالي وناصر حلاوي، د.ط، ايفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2002، ص91

[2]المرجع نفسه، ص91

[3]ثائر حسن حمد، الاستعارة من منظور أسلوبي، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ص6

[4]فرنسوا موروا، البلاغة المدخل لدراسة الصورة البيانية، تر: الولي محمد وحرير عائشة، ط2، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص31-32

فديمارسه هنا قد بين أن الدال الاستعاري يفقد جزء من عناصره المكونة لدلالته، وقد تبني هذه الفكرة البلاغيون المحدثون مثل: إ.كونراد القائلة: (حينما نستخدم استعارة ما فإننا نكونوا مجبرين على اهمال كثير من الصفات التي يستدعيها اللفظ الاستعاري في استعماله العادي[1].

وبالتالي فإن ديمارسيه وإ.كونراد يتفقان في معادلة استعارية مفادها: لفظ في الاستعمال العادي –بعض العناصر المكونة لدلالته = لفظ استعاري.

وما يمكننا أن نضيفه هو أن الفكرة التي تعبر عنها الاستعارة هي غالبا فكرة لا يمكن للقائل التعبير عنها

حرفيا بسبب شدة تعقيدها[2]، فهي بمثابة مساحة واسعة لبوح المتكلم بما قد التعبير عنه حرفيا. وبالمقابل لا شيء يمنع من أن نستعمل قولا حرفيا لتمثيل الفكرة إلى عنها بقول تقريبي، اذن يوجد اختيار في حالة القول التقريبي في حين أنه غير موجود في حالة الاستعارة.

2-النظريات الحديثة للاستعارة:

2-1-النظرية الاستبدالية:

من المعلوم أن نظرة أرسطو للاستعارة شكلت في مراحل تاريخية متعاقبة قاعدة عديد من الدراسات القديمة والحديثة على سواء، إذ إن الاستعارة "Metaphore" تشير إلى الإنتقال بالمعني وحمله على معنى آخر.

وبهذا عرف أرسطو الاستعارة على أنها إعطاء الشيء اسما يعود على شيء آخر، بالإنتقال من النوع إلى الجنس، ومن الجنس إلى النوع، ومن النوع إلى النوع، والنقل بالتناسب وهذا التحديد قوامه الحركة في المكان، أي أن الاستعارة تقوم على نقل الكلمة من مكانها الأصلي إلى مكان آخر غريب عنها. وفكرة النقل الموضعي هذا جاءت كالتالي[3]:

أ)-النقل من الجنس إلى النوع: فيستبدل الجنس بالنوع، ويضرب له أرسطو مثالا: هنا توقفت سفينتي باعتبار أن الارساء ضرب من التوقف.

---

[1] المرجع نفسه، ص32

[2] ينظر: آن روبول وجال موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، ط1، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 2003م، ص194

[3] تيرنس هوكس، الاستعارة، ص31-32

ب)–النقل من النوع إلى الجنس: ومثاله: أجل لقد قام أوديسيوس بالآلاف من الأعمال المجيدة، والشاعر هنا استعمل آلاف مكان كثير.

ج)–النقل من النوع إلى النوع: ومثاله في القول: انتزع الحياة بسيف من نحاس، قطع بكأس متين من نحاس بمعنى "قطع" وكلا القولين يدلان على تصرم الأجل[1] (الموت).

د)–النقل على التناسب: وفي هذا النوع تكون النسبة بين أربعة أطراف إذ يكون المتكلم قد ابدل الطرف الثاني بالرابع، والرابع بالثاني، على أساس أن علاقة الثاني بالأول هي نفسها علاقة الرابع بالثالث ومثاله كالآتي: النسبة بين الشيخوخة والحياة هي عينها النسبة بين العشية والنهار[2] فالشيخوخة بالنسبة للعمر كالمساء بالنسبة لليوم ومن ثمة نسمى المساء شيخوخة النهار.

أما امبرتو ايكو فقد عمل على نقد النموذج الأرسطي، اذ يرى أن الاستعارة في النقل من الجنس إلى النوع يبدو شكلا من الترادف لأن الجنس لا يكفي لتحديد النوع.

أما النمط الثاني فيراه ايكو أكثر مقولية، فاستعمالنا لآلاف بدلا من الكثير اذ يعد الأخير جنسا تكون منه آلاف نوعا. ويرى بأن النمط الثالث يبدو أكثر شرعية فهناك صلة قرابة ومتشابهة بين أستل وقطع[3].

وعلى الرغم من صلاحية النمط الرابع من الاستعارة –الاستعارة التناسبية– إلا أن امبرتو إيكو يراه في حاجة إلى تقيين هو الآخر.

وهذا ما جعل محمد مفتاح يقوم النموذج الأرسطي الذي بنيت فيه الاستعارة على القياس، وربط بين الاستعارة وقياس التمثيل. فيرى أن كليهما يتركب بين طرفين، إذ إن هناك طرف مذكور وطرف مضمر ومن هنا يكون مرد أية استعارة كما يشير محمد مفتاح إلى موضوع أول وموضوع ثان، ونراه بذلك يحد من التقسيمات التي جاءت بها البلاغة[4] العربية. إذ ترى النظرية الاستبدالية أن الاستعارة وسيلة لغوية لوصف بعض المماثلات الموجودة قبليا بين شيئين في العالم وليست مجرد.....وصف له[5].

---

[1] اريسطو طالسي، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، د.ط، دار الثقافة، لبنان–بيروت، د.ت، ص58

[2] تيرنس هوكس، ص19

[3] ينظر: امبرتوإيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر:أحمد الصمعي، ط1، مركز دراسات الوحدة، بيروت–لبنان، 2005م، ص248 – 249

[4] ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال للنشر، ط1، 1990م، ص45

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص48–49

لتأتي بعد ذلك جماعة "مو" لتحاول أن تصحح المنظور الأرسطي الاستبدالي للاستعارة وتحديد آليات اشتغالها إذ تعرف هذه الجماعة الاستعارة بقولها: "ليست الاستعارة في نظر جماعة مو استبدالا للمعنى بمعنى آخر وإنما هي تعديل Modification للمضمون الدلالي للكلمة ويحصل هذا التعديل بواسطة تضافر عمليتين قاعدتين هما: زيادة السمات وحذفها"[1].

فحسب هذه النظرية فإن الاستعارة لا تفرع للكلمة المستعارة من معناها الحقيقي، وتنزع عنها سماتها الضرورية وإنما تقوم ببعض التعديلات.

يرى رومان جاكسون أن الاستعارة علاقة استبدالية على المحور اللفظي، وإنما تقوم المشابهة والاستبدال وهي رؤية مبنية على محوري النظم والاستبدال الذين أقامهما دي سوسير في نظامها اللغوي[2].

ويذهب جاك لاكان إلى ما ذهب إليه رومان جاكسون، إذ يرى لاكان أن الاستعارة هي استبدال مفردة

بمفردة أخرى أكثر ملائمة[3].

2-2-النظرية التفاعلية:

تعد النظرية التفاعلية من أهم الافرازات التي تمخضت عن ميدان العلم المعرفي، تسعى لتجاوز مسلمات البلاغة التقليدية والكلاسيكية التي تقوم على النزعة الوصفية والتي تتبنى أساسا على مبدأ جدي انعزالي استبدالي لتتبنى تصورات مغايرة من حيث المنطلقات والأهداف وهي مبنية على أساسا على علاقة تفاعلية بين الإنسان بين محيطه ومحيطه الخارجي[4].

ومن أهم المفكرين الذين ينزوون تحت راية هذه النظرية نذكر:

-ماكس بلاك ما ابرز النظرية التفاعلية للاستعارة، ميز في مستوى الاستعارة بين المصطلحين: البؤرة (Focus) وبين ما أسماه بالإطار (Frame) فالأول يعني بلا مكمل الاستعارة[5]. والثاني هو باقي الجملة، ففي المثال الآتي: انفجر الرئيس في المناقشة، انفجر هنا في بئرة الاستعارة أما باقي الجملة فهي الإطار، ويستخدم بشكل حرفي. مبدأ التفاعل

---

[1] عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة، ص157

[2] ثائر حسن حمد، الاستعارة من منظور أسلوبي، ص8

[3] المرجع نفسه، ص8

[4] ينظر: محمد مفتاح مجهول، البيان، ص26-27

[5] عبد الله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2001م، ص63

بينهما مما يجعل الاستعارة عملية ذهنية بين فكرتين نشيطين وأشار إلى أن الاستعارة في المثال السابق بإمكانها، أن تترجم إلى لغات أخرى دون أن تفقد معناها الاستعاري، كون الاستعارة حسبهم ترتبط بالمعنى ومن هذا الجانب تكتسب شرعيتها.

ونجاح الاستعارة مرهون ببقاء القارئ واعيا لامتداد وتوسع الكلمة، فهو مجبر على استحضار الدلالتين القديمة والجديدة وربط الفكرتين مع بعضهما ومكمل الاستعارة في الربط بين هتين الدلالتين[1]

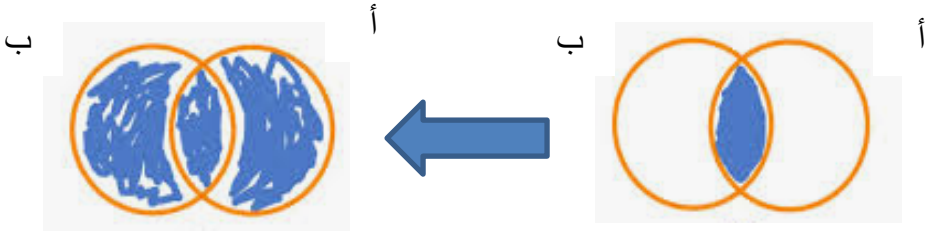

مثال: انفجار الرئيس

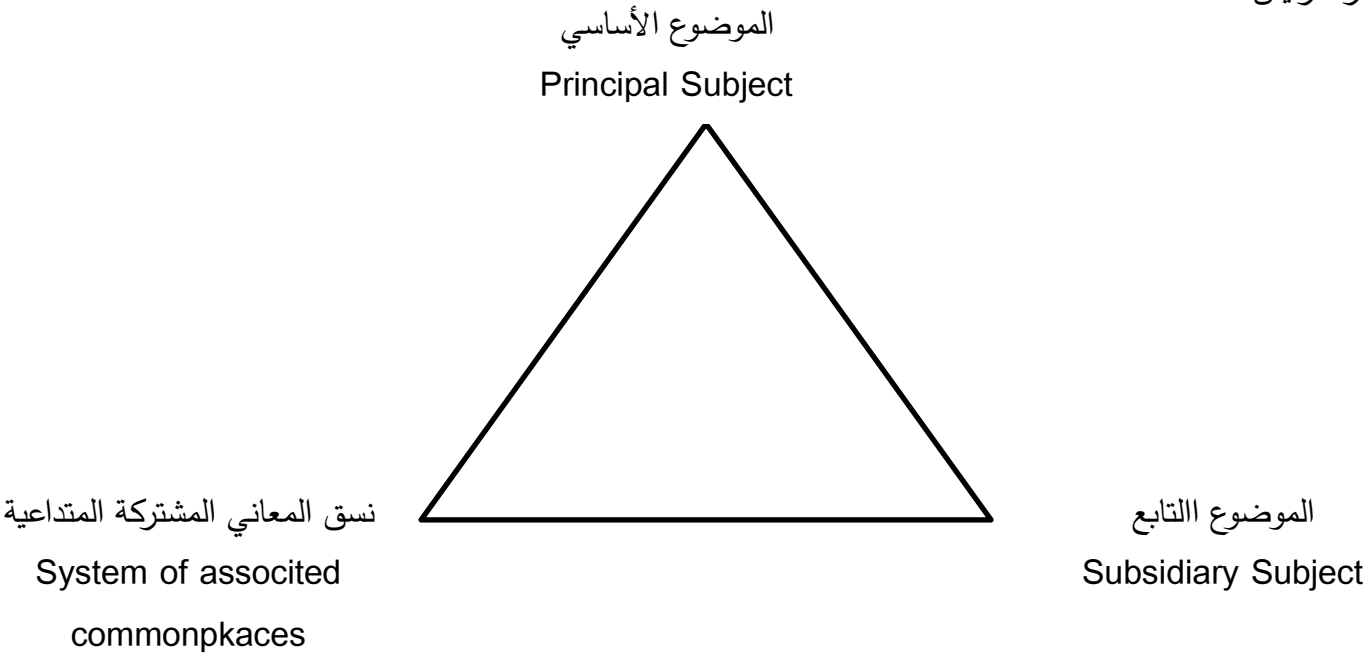

شرح:

[1] جميلة كرتوس، الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية رسالة ماجستير ، جامعة مولدي معمري تيزي وزو الجزائر 2011 ص24

وقد قدم ماكس بلاك مثالا حول ذلك (انفجر الرئيس خلال المناقشة) يحتوي على استعارة إذ توجد كلمة على الأقل بشكل مجازي في أي جملة استعارية.

تصور ايفور آمسترينغريتشاردز I.A.Richards يعتبر مؤلف ريتشاردز "فلسفة البلاغة" منعرجا حاسما في تاريخ الفكر البلاغي عموما والاستعارة خصوصا، فقد أغلق بقطع الجسور مع المقاربات البلاغية القديمة، هدفه الإحاطة بخرافة المعنى الخاص.

المقصود بخرافة المعنى الخاص هو أنه يكون للكلمة، معنى ثابتا مستقرا بغض النظر الاستعمال أو السياق أي أن تضمن المفردة معنى واحد نهائيا.

وعمل ريتشاردز يعد عملا رياديا أدرك مواطن تهافت الإشكالية التقليدية إذ يؤكد أن الاستعارة حضور دائم في اللغة وأي حديث اعتيادي لا يمكنه أن يخلو من استعارة ويزداد استعمالها في مجال الفلسفة[1].

فالإستعارة الحسية ريتشاردز علاقات وإستعارات بين الأفكار إنها عملية تبادل النصوص، فالفكرة طبيعية إستعارية ونظرا لإنعدام مصطلحات واظحة ميز بهما طرفي الإستعارة، فسماهما الحامل والمحمول بعد أن كان ينظر للإستعارة بإعتبارها زخرف لفظي، وأن المحمول هو الذي يهم في المقام الأول فذهب بأن يؤكد أمرين في هذا الصدد:

الأول: المعنى هو حامل تفاعل كلا من المحمول والحامل، والثاني: لا ينبغي إعتبار الحامل مجرد زخرف للمحمول فتعاون اجتماع كل من المحمول والحامل يولد معنى ذا قوة متعددة لا يمكن نسيته إلى أي منهما منفصلين.

ويؤكد في مستوى الإستعارة يمكننا أن نكشف وجه الشبه أما بسهولة أو بصعوبة وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الإستعارات في نظره إلى قسمين:

أ- نوع يقوم على علاقة شبه مباشرة بين طرفي الإستعارة، وقدم مثالا يمكن في " أرجل المائدة في حسبه إستعارة مكنية إذ أن أرجل المائدة تمسك بها ولا تمشي عليها[2].

ب- نوع يقوم على وجود موثق مشترك يتم إتخاذه نحو طرفين المكونين للإستعارة، ويقدم ريتشاردز مثاله في هذا المقام: "الفتاة بطة"، إذ يبدو من العبث البحث عن وجه الشبه الحقيقي بين الفتاة والبطة، حيث لا يمكن إطلاقا

[1] ريتشاردز : فلسفة البلاغة، تر: سعيد الحنصالي، وناصر حلاوي، د.ط، افريفيا الشرق، الدرا البيضاء، المغرب، 2002، ص 113 -114

2 ينظر: ريتشاردز فلسعفة البلاغة ص 113-114

تسمية البطة على الفتاة لإنها لا تملك صفاتها: {منقار، أرجل كالمجداف...} فالإستعارة بقدر ما تبنى على التشابه إلا أنها تبنى كذلك على التباين الإختلاف[1].

-تصور لاكوف جورج وجونسون مارك: LAKOFF GEIRG ET JOHSON

أخدت الإستعارة عند جورج لايكوف ومارك جونسون معنى ومظهرا، ووجهة نظر جديدة فلم تعد ظاهرة لغوية ترتبط بلغة الشعر والبلاغة التجميلية بل رأى أنها ظاهرة فكرية مرتبطة بنسقنا الصوري ملازمة لحياتنا اليومية.

فهما أبرز من مثل النزعة التجريبية التفاعلية في مؤلفها المشترك المرسوم "بالإستعارات التي تحيا بها" ويعتبر هذا الآخر إنجاز نوعيا على صعيد العلوم اللسانية والمعرفية وممكن هذا الإنجار يبرز في الثورة التي أعلنها على النزعة الموضوعية التي تقوم على فكرة التطابق بين الرموز اللغوية وعناصر العالم الخارجي، وكذا إنفصال الجسد على المحيط الخارجي.

ويشمل البعد التجريبي لديهما كل من الأبعاد الحركية، الحسية، العاطفة، الاجتماعية[2]، إذ تقوم التجربة الإنسانية بدور مركزي في تنظيم العالم والبعد التجريبي جوهرها يكمن في فكرة تفاعل تجارب الإنسان مع عناصر المحيط الخارجي.

وفي هذه النقطة يتشارك كل من "لايكوف وجنسون وإمبرتوايكو" في محورية البعد التجريبي في الفهم اللغوي على الرغم من الإختلاف في المنطلقات والأهداف "فايكو" يؤمن بكون صور العلم غالبا ما تكون إستعارية وهذا ما يتنافى مع وجود إستعارات بصرية أو موسيقية.....إنما يتعلق الأمر في أن الإستعارة اللغوية في تفسيرها من حيث أصولها غالبا ترتكز على الإحالة إلى تجارب سمعية، بصرية، سمعية لمسية[3] وتقسم الإستعارة في ظل هذه النظرية لدى أصحابها:

1-تجمع الإستعارت بين الخيال والعقل فمن متطلبات ومستلزمات العقل نجد الصياغة المقولية، الإستدلال، الإستنتاج والخيال بدوره يستدعي النظر إلى نوع من الأشياء من خلال نوع آخر مغاير، وهو ما يدعي بالتفكير الإستعاري.

وبما أن المؤلفين قد أطلقا تسمية الإستعارات التي نحيا بها على مؤلفها فإن هذا يوحى لنا بأنهما يقسمان الإستعارات إلى نوعين:

- إستعارات التي نحيا بها وما يقابلها في الجانب الآخر، الإستعارات التي قد تصل فالإستعارة على -جونسون ولايكوف- بإمكانها إحياءنا أو قتلنا.

---

[1] المرجع نفسه، ص114

[2] ينظر لايكوف جورج وجونسون مارك، الإستعارات التي نحيا بها

[3] ينظر امبرتوايكو: السيميائيات، فلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، ط1، مركز دراسات الوحو، بيروت، لبنان، 2005، ص236-237

أ–الإستعارات التي نحيا بها: يقف الباحثان موقفا نديا لكل الذين إزداؤو من الإستعارة إذ يؤكد بأننا نحيا بالإستعارة كون اللغة في جوهرها إستعارية أي أنها تغير العلاقات غي المدركة قبلا للأشياء وتعمل على أدامة هذا الإدراك الفهم[1]، فهي جزء لا يتجزء من نظامنا الفكري العادي، إذ تعد الإستعارة إحدى اللبنات التي تساعد في بناء جوهر الكيان البشري، كونها تقوم لدى الأطفال فقد أثبتت دراسات ميدانية عملية قدرة الطفل على إنتاج الإستعارة منذ سن مبكر.

ب–الإستعارة قد تقتل: الإستعارة إن قد تكون قابلة لقتلنا وهذا ما جسده "لايكوف جورج" في كتابه "حرب الخليج أو الإستعارات التي تقتل" فالإستعارة قد تقتل عندما يلجأ إليها وتستعمل بناءا إستدلاليا لتبرير الحرب..... وتوسيع الهجوم على البشر، الإستعارة قد تقتل عندما تخفي وجه الحرب البشع، عندما تعبث بمصائر الناس ولا تقيم معنى آلامهم[2]، وأقوى دليل على ذلك المقاربة التي أجراها لايكوف جورج في دراسة الإستعارة في ظل الخطاب السياسي.

إذ يعمل رجال السياسة على توجيه الإستعارات بكيفية تخدم أهدافهم وأغراضهم، وذلك لمدى قابليتها على تقديم تسويغات لمختلف قراراتهم ووجهات نظرهم.

فلم تعد الإستعارة مجرد وسيلة يحيا بها الإنسان ويتفاعل بواسطتها بل صارت من بين وسائل الحرب والقتل ووسيلة لأحداث التغيرات في خريطة العالم.

من الواضح أن النظرية التفاعلية للإستعارة قد جاءت بديلا للنظرية الإستبدالية على أسس عقلية ومنطقية صارمة لا تقبل التفاعل، التمازج والغلط بين العوالم ومن ثم نستخلص النقاط المشتركة بين النظريتين[3]:

مبادئ النظرية الإستبدالية	**مبادئ الإستعارة التفاعلية**
–إن الإستعارة لا تتعلق إلا بكلمة معجمية واحدةبقطع النظر عن السياق الوارد فيه.	الإستعارة تتجاوز الإقتصار على كلمة واحدة إلى الجملة والخطاب
إن كل كلمة يمكن أن يكون لها معنيين:	إن الكلمة تتضمن معاني ثابتة وقارة وليس لها معنى حقيقي محدد بكيفية نهائية، فالمعنى

[1] ريتشاردز، فلسفة اللغة، ص92

[2] كروتس جميلة، الإستعارة في ظل النظرية التفاعلية لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش نمودجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستر، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود.

[3] عبد العزيز لحويدق، نظريات الإستعارة، ص191.

معنى حقيقي ومعنى مجازي.	يتحدد بواسطة السياق
الإستعارة تستبدل بكلمة حقيقية، كلمة مجازية	الإستعارة تحصل تفاعل بين الحامل والمحمول حسب ريتشاردز، ومن التوتر بين البؤرة والإطار المحيط بها حسب ماكس بلاك.
ينهض الإستبدال عبلى علاقة المتشابهة الموضوعية والذاتية	ليست المتشابهة هي العلاقة الوحيدة في الإستعارة فقد تكون هناك علاقات أخرى.
وظيفة الإستعارة الرئيسية تزينية وجمالية	لا تقتصر الإستعارة على الهدف الجمالي و القصد التشخيصي، ولكنها ذات قيمة عاطفية ومعرفية أو بتعبير شاما " نحيا بها".

2-3 النظرية السياقية:

لا تنحصر الإستعارة في المعنى المعجمي الذي لا يكتشفه المتلقى من القراءة المباشرة للمعجم[1] ولكنها في إثبات المعنى وتأويله وهذا لا يحدث إلا من خلال السياق.

فقد شغلت قضية السياق حيزا واسعا، ومن إهتمامات كل من الناقد الفرنسي (تورنو) الذي يقول: "لا يمكن أن تكون الإستعارة من غير سياق[2]" والسياق عند ماكس بلاك هو إطار قوامه الكلمات[3] وهو الذي أقر أنه مادامت القواعد اللغوية قاصر على تزيدها بمعلومات كافية لفك معالق المعنى ومقاصد المتكلم فإنه ثمة ضرورة ملحة للعودة إلى السياق، أي الاهتمام بالظروف الخارجية قصد الولوج إلى معنى الإستعارة فيشاطرهم الرأي الناقد الإنجليزي

[1]ينظر عقيلة مصيطفى، سياق الموقف في إنتاج القول وتأويله وفهم مقاصده، ع20، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، 2014، ص98.
[2]المرجع نفسه، ص99.
[3]جميلة كرتوس، الإستعارة في ظل النظرية التفاعلية، لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش، نموذج مذكرة لنيل شهادة الماجستر ، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011-2012، ص70

.إ.أ.ريتشاردز عن هذا المعنى فهو يرى: " أن الإستعارة تتشكل في الأفكار والعلاقات بالموازنة بين المقولات أجمعها تتضح للموازن أوجه الزيادة وملامحها[1]."

فالإستعارة بإعتبارها حيز سياقي، تهتم بتعلق الألفاظ ونظمها ينتج فيها دلالات مشحونة بالقيم الجمالية والنفسية فضلا عن خاصية التوصيل، وهذا ما تقول به المنهجيات النقدية الغربية التي عدت الإستعارة سياقا حاملا للكلمات، حيث تكشف الإستعارة السياقية عن قاعدة إيديولوجية لمجتمع من المجتمعات وبهذا يكمن إعتبار الإستعارات المفهومية بمثابة منظومة إجتماعية يتم عبره تشغيل كل المعارف والتجارب الثقافية والإجتماعية[2].

فالإستعارة تنفتح بحكم طبيعتها على سلسلة من التأويل التي تعدد السياق الوارد فيها حيث يتم فيها مراعاة الشروط الثقافية والنفسية، والمقاصد والأهداف ولهذا سنقف عند السياق التداولي الذي يلعب دورا مركزيا في فهم الإستعارة وتأويلها والذي يكون فيه الملتقى عنصرا فعالا[3] ونشيطا.

2-4 النظرية التداولية

إن دراسة الإستعارة من خلال رؤية تداولية تتشعب في عدة زوايا بتعدد الأفكار التداولية التي ترتبط بالإستعارة منها: فهم الإستعارة بوصفها وسيلة لغوية تواصلية وتفسيرها على المستويين البلاغيين، مستوى التواصل والتفاعل البشري، والمستوى الأدبي والفني، وترجمتها وما يترتب على عملية الترجمة من الإنتقال من سياق التلقى الذي أنتجت فيه الإستعارة إلى سياق آخر. وما يتعلق بذلك من إختلاف السياق الثقافي والإجتماعي، ويأتي التمييز بين المعنى الحرفي في {معنى الجملة} والمعنى التداولي { المعنى السياقي، معنى المتكلم} بمثابة الفكرة الأم التي تجمع بين القصايا المثارو في دراسة الإستعارة، وفق رؤية تداولية. ومن هنا جاءت معالجة سير للإستعارة من خلال عرض للتمييز التداولي بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري بمصطلحين هما Speaker meaning وهو معنى المتكلم و Sentens meaning وهو معنى الجملة[4] ويشير بداية إلى أن هذين المعنيين يتطابقان في المنطوق الحرفي أما في

[1] جميلة كرتوس، الإستعارة في ظل النظرية التفاعلية، لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش، نموذج مذكرة لنيل شهادة الماجستر ، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012/2011، ص70

[2] ينظر محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال للنشر، ط1، 1990، ص85

[3] المرجع نفسه، ص84

[4] عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، جامعة المنوفية، مصر، ع23، 1994، ص99

المنطوق الاستعاري فإن الأمر يختلف، حيث يكون المعنى الاستعاري هو تلفظ المتكلم وبقسم سورل المنطوق إلى ثلاثة أنواع[1]:

1-المنطوق الاستعاري البسيط: وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد كلمة بكلمة أخرى، الأولى ملفوظة والثانية مضمرة وتمثل قصد المتكلم.

2-المنطوق الاستعاري غير المحدد: ويتسم باتساع مجال المعاني التي يتحملها المنطوق الاستعاري. إذ لا يتحدد المضمر هنا في كلمة واحدة بل يتشعب بين عدة دلالات مجازية يتحملها البعد المجازي الاستعاري.

3-الاستعارة الميتة: وفيها يهمل المعنى الأصلي للملفوظ، ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ، فهي مستخدمة لفترة طويلة من الزمن حتى أصبحت شائعة، فلا نشعر بالفرق بين الموضوع والصورة، فلا يشعر القارئ بوجود أي صورة لأنها قد تختفت نتيجة الاستخدام المتكرر[2].

فالمعنى الاستعاري مرتبط بالتلفظ أي بمقصد المتكلم فالاستعارة في تصور سيرل لا ترتبط بمعنى الجملة بل ترتبط بمعنى المتكلم، فإن الطبيعة الاستعارية لملفوظ ما تعود إلى قصدية المؤلف واختياره، ولهذا السبب فإن تأويل الاستعارة مرتبط بقرار إصدار عن قصدية المتكلم[3].

أصحاب النظرية التداولية للاستعارة يعترضون على كل مقاربة دلالية للاستعارة سواء أكانت استدلالية أم تفاعلية، ويرون أنها لا تمتلك أي كفاية تفسيرية لطبيعة الاستعارة وآليات إشتغالها انتاجا وتلقيا[4]

اذ يرى مرغان أن الاستعارة لا تختلف عن أي نوع من أنواع المعاني المزدوجة إلا أن الفرق يكمن في الإبهام وعدم الوضوح. وأن القراءة أو التأويل لتلك الاستعارات ينطلق بالضرورة من المعنى الحرفي.

ومن ثمة بعد آخر في الرؤية التداولية للاستعارة تتمثل في ربط تأويل الاستعارة بمبادئ غرايس الأربعة الكم والكيف والإضافة والجهة والمتفرعة عن مبدأ التعاون.....[5]

---

[1] المرجع نفسه، ص100

[2] عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، ص100

[3] امبروايكو، التأويل بين السيميئيات والتفككية، تر: سعيد بن كراد، ط1، المركز الثقافي المغربي، الرباط-المغرب، 2000م، ص195

[4] عبد العزيز الحويدق، نظريات الاستعارة، ص319

[5] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م، ص238

إذ يمكن أن تعد الاستعارة كنوع خاص من استغلال مبدأ أو أكثر من بين المبادئ الأربعة التي وصفها غرايس، فتكون بذلك الاستعارة بمثابة لهذه المبادئ والمتمثلة في[1]:

1-قاعدة كيف الخبر، وتتمثلان في:

-لا تقل ما تعلم كذبه.

-لا تقل ما ليست لك عليه بينة.

2-قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال، وهي:

-ليناسب مقامك مقالك.

3-قواعد جهة الخبر:

-لتحترز من الإلتباس.

-لتحترز من الإجمال.

-لتتكلم بإيجاز.

-لترتب كلامك.

فإذا احترم المتكلم، القواعد التخاطبية فإنه يجعل من كلامه واضحا وصريحا، وبمجرد مخالفة المتخاطبين لهذه القواعد أو البعض منها، فإن الإفادة تنتقل من وجهها الظاهر والصريح إلى وجه غير صريح، وبذلك تتحول تلك المعاني المشتركة إلى ضمنية ومجازية، وهذا ما نسميه استعارة.

فإن هذا الرأي الذي قام بالجمع بين الاستعارة ومبدأ التعاون على أساس أن الاستعارة نمط خاص من التواصل المحادثاتي والتواصل البشري، وهي رؤية جديدة للاستعارة.

2-5-النظرية الحجاجية: والحجاج كما هو معلوم لا يزال يتفضل علينا بالنظريات ويخلق المفاهيم، وعجب في ذلك "فقد تجدد اليوم الاهتمام بالمراتب الحجاجية بتجدد الدراسات الخطابية، التداوليات والتحليلات والسيمائيات"[2] ومما أفرز

[1] ينظر: طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص239

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص229

هذا الإهتمام المتجدد بالحجاج، هذه النظرية اللغوية الحجاجية التي تبرز طاقات اللغة الهامة تواصلية كانت أم بلاغية أم تأثيرية مما يسخر كله لأغراض حجاجية.

وإن كانت هذه النظرية الحديثة تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانيات اللغات الطبيعية التي يمتلكها المتكلم ويستغلها بقصد التأثير، فمن المسلم به أن تتعارض مع كثير من التصورات والنظريات الحجاجية الكلاسيكية التي تعد مجال الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكية (أرسطو) أو البلاغة الحديثة (برلمان)، أو منتميا إلى المنطق (ماريجان بورال)[1] وكان هذا التحول نتيجة السعي الحثيث، إلى اكتشاف منطق اللغة، الذي يقضي بأن تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفية حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية لا قول نفسها، وفي المعنى وفي كل الظواهر الصوتية والصرفية فالمعجية والتركيبية والدلالية[2].

وتقوم هذه النظرية على ثلاثة مبادئ هي[3]:

1-الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.

2-المكون الحجاجي في المعنى أساسيا والمكون الإخباري ثانوي.

3-عدم الفصل بين الدلالات والتداوليات والدعوة إلى فرضية (التداوليات المندمجة) ولا يمكن الحديث عن أية قضية سواء أكانت لغوية أو غير لغوية دون الرجوع إلى أصولها وبوادرها، فلا يمكن الحديث عن حجاجية الاستعارة في العصر الحاضر دون الرجوع إلى الأصول الأولى لهذه القضية التي يرجعها أكثر الباحثين إلى أرسطو، الذي تناول الاستعارة في موضعين من كتاب الخطابة فقد تحدث عنها في باب الشاهد الذي فرعه إلى ثلاثة أجناس وهي الشاهد الواقعي والشاهد الصناعي المحتمل والشاهد الخرافي، وفي هذا الموضع تعتبر الاستعارة مقوما حجاجيا، كما تحدث عنها في معرض كلامه عن الأساليب ليعتبرها محسنا لفظيا .

وبصفة عامة يقسم أرسطو الاستعارة إلى 3 أقسام:

---

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، د.ط، بيروت-لبنان، 2009، ص14

[2] أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، ع4، ماي 1991، ص79

[3] البشير عزوزي، حجاجية الاستعارة في الشعر الجاهلي ديوان المتنبي نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستر، قسم لغة وأدب عربي، كلية الاداب واللغات، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، ص45

1-**الاستعارة الجمهورية:**

هي الاستعارة التي صارت متداولة بين الجمهور نتيجة التكرار وكثرة الاستعمال، إلى درجة أنها استهلكت وتهالكت، لدرجة أنها فقدت شحنتها التأثيرية.

فلا تنتج هذه الاستعارة إقناعا، لأنها لا تملك قوة حجاجية ولا روحا تخيلية، نتيجة افتقادها لعنصر المفاجأة.

2-الاستعارة الشعرية:

تكون هذه الاستعارة من الاستعارة المركبة والاستعارات المخترعة والاستعارات البعيدة، التي تنقل القول من الخطابي الشعري، وتفشل هذه النظرية في نظر أريسطو في تحقيق الوظيفة الإقناعية.

3-الاستعارة الحجاجية:

هي التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقى.

ولا يمكن نسيان الدراسات العربية التي تعتبر النموذج الأمثل لدقة الطرح ومن بين الذين اهتموا بهذا الموضوع طه عبد الرحمن الذي لا يمكن إنكار أسبقيته في مجال النظرية الحجاجية للاستعارة، ويمكن اعتباره النموذج الأمثل للفكر العربي المعاصر، حيث أقر أن الإهتمام بالحجاج قد تجدد بتجدد الدراسات الخطابية، ولم تقتصر الدراسات الحجاجية على النظرة الضيقة للحجاج والتي لطالما اعتبرته لا يجاوز عملية استدلالية وبرهانية، تقوم على حشد الأدلة والبراهين على قضية معينة، في حين أن الحجاج لا يقوم على مجرد العلاقة الاستدلالية بين جانبين اثنين، وإنا يتعداه إلى انطوائه من الإلتباس في الوظيفة[1] وهذا الإلتباس الذي عده من مسلمات الخطاب الطبيعي، كما أكد أنه مطلوب في الحجاج[2].

وأول ما ركز عليه طه عبد الرحمن في حديثه عن المجاز ثم الاستعارة خاصية الإلتباس في الخطاب الطبيعي، إنما تتجلى في المجاز الجامع بين معنيين متقابلين هما: العبارة والإشارة، فالمعنى الأول حقيقي، والمعنى الثاني قيمي أو مجازي وهذا الجمع هو عين.

الإلتباس المطلوب في الحجاج ومن هنا يظهر أن المجاز هو الأصل في الحجاج[3].

---

[1] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 1998م، ص229-230

[2] المرجع اتسابق، ص231

[3] المرجع نفسه، ص231-232

ويعتبر طه عبد الرحمن أن نموذج العلاقة المجازية هو العلاقة الاستعارية فالاستعارة هي أهم علاقات المجاز فهي إذن أدل ضرورية على ماهية الحجاج ومن خلال هذا التركيب الذي أفضى به إلى إدراك الأهمية البالغة للاستعارة[1] اعتبر أن الأسلوب الاستعاري أقدر الأساليب التعبيرية على امداد الخطاب بقوة التفرع والتكاثر، فهو أشدها توغلا في العمل بالآليات التشبيهية التي هي عماد الاستدلال الطبيعي.

هذا الاستدلال الذي من خلال الاستعارة لا يورث المتكلم القدرة على تكثير عباراته فحسب، بل يورثه القدرة العجيبة على تكثير أدواته الخطابية، لهذا بلغت الاستعارة مرتبة لا تدركها..... عبارة غرها. كائنة ما كانت[2] ومن هنا توجه إلى الغوص في تخومها واستخرج ما فيها من خلفيات فلسفية وطاقات حجاجية.

ومن هنا نستنتج في نهاية العنصر، نريد من خلاله أن نثبت أنه يلجأ عادة لاستخدام الاستعارة كونها بديلا عمليا في كثير من وسائل الارغام مثل القوة المادية وبذلك فهي الأداة السليمة التي نضمت التغيير في معتقدات المرسل دون خسران، وثقة من صاحبها أنها أبلغ من الحقيقة الحجاجية، كما أن الجماهير تتحرك بالصور المجازية ولهذا كان تصنيفها ضمن أدوات الحجاجي، اذ تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى احداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقى[3].

II-أنواع الاستعارات التصورية Conceptual Metaphor:

للاستعارات التصورية ثلاث أصناف بحسب ما جاء على يد مؤسسيها في مؤلفهم الشهير "الاستعارات التي نحيا بها" نذكرها على التوالي:

أ-الاستعارات البنيوية: Metaphors Structural

مفادها أن بنيتين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر[4] ويقدم جورج لايكوف ومارك جونسون مجموعة من الأمثلة المجسدة للاستعارة البنيوية مثل (الجدال-حرب) واستعارة الزمن مال.

---

[1] المرجع نفسه، ص232

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص295

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2004، ص459

[4] لايكوف جورج، جونسن مارك، 2009، الاستعارات التي نحيا بها: ترجمة جحفة عبد المجيد، دار توبقال للنشر، المغرب، ص33

ب-الاستعارات الاتجاهية: Orientational Metaphors

هذا النوع من الاستعارات مختلف عن النوع السابق، وحيث "لا يبنين فيه تصور ما عن طريق تصور آخر، ولكنه على عكس ذلك ينظم نسقا كاملا من التصورات المتعالقة"[1] ويطلق لايكوف وجونسون على هذا النوع من "الاستعارات الاتجاهية" ذلك أن "أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي: عال-مستقل، داخل-خارج، أمام وراء، فوق تحت، عميق سطحي، مركزي هامشي. ويتبع هذه الاتجاهات الفضائية من كون أجسادنا لها هذا للشكل الذي هو عليه، وكونها تشتغل بهذا الشكل الذي تشتغل به محيطنا الفيزيائي[2] وكمثال على هذا يطرح لايكوف وجونسون في كتابهما المشترك استعارة "السعادة فوق والشقاء تحت".

ج-الاستعارة الانطولوجية:Ontological Metaphors

هي تلك الاستعارات التي نخصص فيها الشيء الفيزيائي كما لو كان شخصا. وبهذه الاستعارات تسمح لنا بفهم عدد كبير ومتنوع من التجارب المتعلقة بكيانات غير بشرية عن طريق الحوافز والخصائص والأنشطة والاحساسات والأفكار.....الخ باعتبارها كيانات ومواد[3] كما أنها "تعطينا طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والاحساسات والأفكار.....الخ باعتبارها كيانات ومواد"[4] واخترنا أن ننظر في الاستعارات الموجودة في قصيدة سراب من ديوان "أسرار الغربة"[5] للشاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري[6] انطلاقا من الأنواع الثلاثة للاستعارة الانطولوجية، والتي حددها كل من لايكوف وجونسن في: استعارات الكيان والمادة، واستعارات الوعاء والاستعارات التشخيصية.

---

[1] المرجع السابق، ص 41

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] المرجع نفسه، ص53

[4] المرجع نفسه، ص45

[5] قصائد أسرار الغربة تجربة فريدة، حيكت نصوصها بين سنتي ثلاثة وسبعين تسعمائة وألف، وسبعة وسبعين تسعمائة وألف، حيث تمخض عن هذه التجربة 163 نصا شعريا، دارت معانيها حول الغربة والحنين إلى الماضي المشرق بحضارته والمشرف بتاريخه

[6] مصطفى محمد الغماري من مواليد تاريخ 1948/11/16 بسور الغزلان "الجزائر" درس دراسة الثانوية في ليبيا أواخر التسعينات ونال شهادة عالية البحوث، حصل على شهادة الليسانس من كلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة الجزائر سنة 1972، عمل في قسم الاداب معيدا إلى سنة1948 نال شهادة الماجستر في الادب العربي الحديث بدرجة مشرف جدا في اطروحة "الصورة الشعرية في شعر أحمد شوقي سنة 1984 ورقي إلى استاذ مكلف بالدروس في الادب العربي. حصل على شهادة دكتوراه في اطروحته المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية فيما اختلفوا فيه من اعراب القرآن للإمام العلامة أبي زكريا يحي الشاوي المغربي، دراسة وتحقيقا سنة 2000، استاذ بجامعة الجزائر منذ 1977، للباحث جانب ابداعي وجانب علمي اكاديمي. للمزيد من التفاصيل ينظر: بوشمال، محمد الطاهر، 2008-2010، أدب الأطفال في الجزائر -مصطفى محمد الغماري نموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستر في الأدب الجزائري شعبة الأدب الجزائري الحديث، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ص20-21

ووجب التنويه أننا اقتصرنا عن هذا النوع دون سواه، لأننا وبعد عملية احصائية لكل أنواع الاستعارات التصورية في القصيدة، اكتشفنا ان الاستعارات الانطولوجية تأخذ حصة الاسد من القصيدة، على غرار الاستعارات البنيوية والاتجاهية، التي تتواتر بنسب قليلة، وهذا الاكثار من الاستخدام الاستعارات الانطولوجية ناتج عن محاولة الشاعر أن يبث الروح في شعره باستخدامه "التشخيص" كما أنه أن يتمنى أن يتعامل مع أحاسيسه على أنها كيانات ومواد، لها وجودها الفعلي، ليسهل عليه التعامل معها، كما يقوم بنقل تجربته مع الفضاء الذي يحتوي جسده، ليسقط خصائص الاحتواء تلك على عدة أمور مجردة فيعطيها أبعادا فيزيائية تمكنها من الإحتواء.

وهذا ما يساعدنا في فهم مقاصد الشاعر من خلال هذه القصيدة، ذلك أن "المجاز الاستعاري يكتسب قيمته الجمالية من قدرته على نقل حالة شعورية يحياها الأديب، وهذا ما يتطلب خلق تصورات غير مألوفة في سياق القصيدة (.....) وهناك محوران رئيسيان يأتلفان في تشكيل الاستعارة، الأول منهما الأفق النفسي وحيوية التجربة الشعورية، والآخر الحركية اللغوية الدلالية بتفاعل السياق وتركيب الجملة"[1].

لكن قبل ذلك نلخص ما سبق ذكره من أنواع الاشعارات التصورية في المخطط التالي:

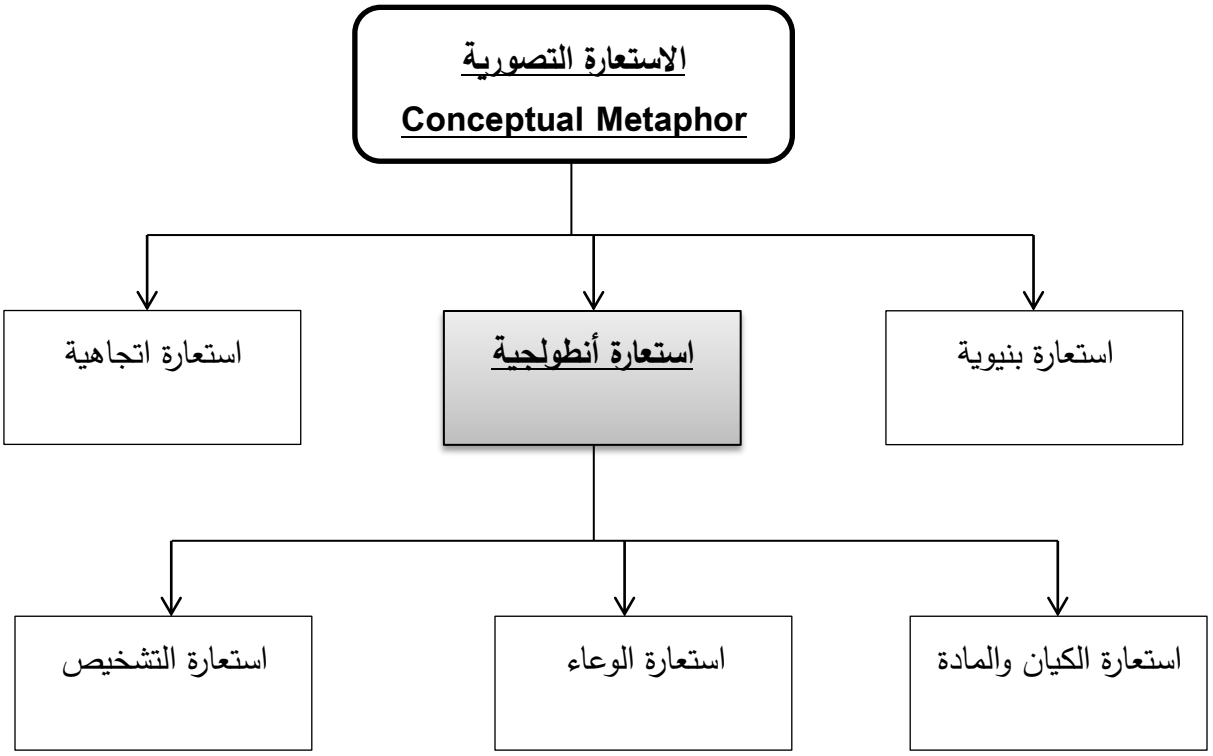

[1] بوشمال محمد الطاهر،2008-2010، ادب الأطفال في الجزائر –مصطفى محمد الغماري نموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستر في الأدب الجزائري، ص109

خلاصة

نستخلص من أنواع الاستعارة التصورية أنها تكشف عن تنوع الطرق التي ينظم بها الإنسان خبراته ويفهم بها العالم من حوله، إذ لا تقتصر الاستعارة على نمط واحد بل تتعدد بحسب طبيعة العلاقة بين المجالات المفهومية.

فالاستعارة البنيوية تظهر كيف يبنى مفهوم مجرد انطلاقا من بنية مفهوم آخر أكثر وضوحا، مما يساعد على تنظيم التفكير بطريقة منطقية. أما الاستعارات الاتجاهية فتكشف ارتباط المعنى بالتجربة الجسدية والفضاء مثل الربط بين الأعلى بالقيمة الإيجابية والأسفل بالقيمة السلبية. في حين تبرز الاستعارات الوجودية دور الإنسان في تشخيص المفاهيم المجردة وجعلها كيانا ملموسة يمكن التعامل معها وفهمها بسهولة. ومن خلال هذه الأنواع ندرك أن التفكير الإنساني قائم على اسقاطات ذهنية مستمرة بين مجالات مختلفة. كما نستنتج أن هذه الاستعارات ليست عشوائية، بل تنبع من التجربة الحسية والثقافية للإنسان. وتظهر أيضا أن اللغة اليومية غنية بهذه الأنماط دون وعي المتكلم بها. إضافة إلى ذلك، فإ، اختلاف أنواع الاستعارات يدل على مرونة الذهن البشري وقدرته على الإبداع في بناء المعنى. كما تؤكد أن فهم الخطاب اللغوي يتطلب إدراك هذه البينة التصورية الكامنة وراءه. وفي الأخير، يمكن القول أن تنوع الاستعارات التصورية يعكس عمق العلاقة بين اللغة والإدراك والثقافة، ويساهم في تفسير كيفية انتاج المعنى وتداوله في مختلف السياقات

تجليات الاستعارة المفهومية في كتاب البيان والتبيين

توطئة

العرب امة جلبت على فصاحة اللسان و حسن البيان، وعلى هذه الفصاحة والبلاغة اقيمت اساليب كلامهم، وظل الامر كذلك ان جاء القرأن الكريم، تنزيل رب العالمين، طريقة ابدع مما كانوا ينظمون، واعجب مما كانوا يعهدون، فأعجز ارباب البلاغة واساطير البيان، وتحداهم على ان يأتوا بصورة من مثله بالرغم من ان كلماته وكلماتهم من العطاء اللغوي ونفسه وتراكيبه على هيئة تراكيبهم

اولا: الحياة الفكرية عند الجاحظ:

لم تكن الحياة الفكرية في العصر العباسي الأول أقل أهمية من نواحي الحياة الأخرى التي امتازت بها هذا العصر، الذي تفتحت فيه أذهان الناس العربي لمظاهر ثقافات الأمم التي اتصلت بها، وبذلك تلونت الثقافة العربية بألوان الثقافات التي وقعت تحت تأثيرها، كالثقافة الفارسية واليونانية والهندية وغيرها من الثقافات التي ترجمت إلى اللسان العربي، مما أدى إلى ظهور نهضة فكرية شاملة، نهضت فيها العلوم، وازدهرت حركة الآداب، واتسعت الحركة الفكرية بمختلف ألوانها[1]، وتمخضت عن ذلك ظهور أسماء لامعة خلدها التاريخ، أمثال الجاحظ*

1 مصطفى بيطام، نظام المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 24-26

*ابو عثمان عمر بن بحر بن محبوب ولد (سنة 159 هـ) في الاغلب في مدينة البصرة توفي والده وهو صغير، اشتهر بإسم الجاحظ بسبب بروز حدقيته، كان مولعا بالعلم منذ صغره، حيث_انكب على صنوف العلم والدين والادب، فنهل منهم اكبر قدر مستطاع، ثم انتقل الى بغداد واتصل بعلمائها واستقامت له علوم اللغة والكلام والنحو والحكمة، واتقن اساليب الادب، شعرا او نثرا كتابة و خطابة، جاءت وفاته سنة 255 هـ، تاركا مؤلفات عديدة منها: نظم القرآن ، مسائل القران، فظيلة المعتزلة، كتاب الجواري، كتاب المعلمين، واخلاق الملوك، و البخلاء، الحيوان البيان والتبيين

ويعود أسباب ازدهار هذه النهضة الفكرية إلى تشجيع كل خليفة من خلفاء بني العباس لهذه الناحية، وفي مقدمتهم أبو جعفر المنصور والرشيد والمأمون، حيث وصلت حركة الترجمة في عهد الأخير إلى أوج تقدمها، إذ نُقلت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وبالمقابل نضجت علوم العرب[1]

1- مؤلفات الجاحظ:

اسمه مولده: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، الشهير بالجاحظ، وقد لقّب بهذا اللقب لنتوء عينيه وجحوظهما، أي بروزهما. ونجد خلافا بين المؤرخين في تحديد زمن ولادته، فمنهم من قال إنه وُلد عام 159هـ، ومن قال غير ذلك، ولكن الأقرب إلى الصحة ما رواه عنه ياقوت في معجمه، حيث روى عنه قوله: "أنا أسنّ من أبي نُواس بسنة، وُلدتُ أول سنة خمسين ومائة، ووُلد في آخرها[2]".

نسبه: كما نجد اختلافا بين المؤرخين حول عروبة الجاحظ، فمنهم من يرى أنه عربي الولاء، ومنهم من ينسبه إلى موالي بني كناني من اهل البصرة[3]. وقد أشار الخطيب البغدادي في تاريخه، ومن بعده ابن عساكر في تاريخ دمشق، إلى أن الجاحظ ينتسب إلى قبيلة مضرية من كنانة كانت تُحارب في جهات مكة، ثم يُعلمنا دون أي تحفظ أنه إما مولى لهذه القبيلة. وممن ناقش أصل الجاحظ من أهل العصر الحديث شارل بيلا، وهو الذي أبى التصريح، ويستثني الجزائري ويجمع جميع البراهين على نسبة الجاحظ العربي[4].

1 مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الاول، دط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 ص 25

2 ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عن الجاحظ، مكتبة الانجلوا المصرية، مطبعة ابناء وهبة حسان، 1995-2005، ص 20-21

3 ينظر : المرجع نفسه، الصفحة نفسها

4 ينظر: شارل بيلا، الجاحظ في البصرة وبغداد، تر: ابراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط ، ص96

نشأته: ينتمي الجاحظ إلى أسرة كانت تجتهد في سبيل الحصول على لقمة العيش، فقد توفي والده وهو صغير، فترك أسرته في عسر وفقر شديد، وكان يبيع الخبز والسمك في أحياء البصرة.

فلجأ إلى التعليم ليعوّض ذلك النقص، لكنه كان يعيش في بيئة لا تفيض بالثراء، وكانت هذه البيئة فقيرة الحال. وكان في ذلك العصر العلم والتعليم ملكا للجميع، ودور العلم والكتاتيب منتشرة في كل مكان، فنُهج إلى الكتاب الصبيان مع أقرانه، فتعلّم الخط والقراءة، وتشبّع من الفقه والحساب، وحفظ بعضا من القرآن الكريم والشعر.

وادراك الصبي في مناخ مهيّأ لسبيل العلم، فقد كان شديد الذكاء مفتوح الشعور، وقد أتيح له في الكتّاب شيخان من الفضلاء ألهباه حماسا وإقبالا على العلم، هما: الشيخ أبو الوزير وأبو عدنان. ونجد قطعة أشار فيها إليهما في كتاب "الحيوان"[1] بقوله: "وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبي الوزير وأبي عدنان من المعلّمين، وكانت حلقاتهما من أول ما أذكر من أيام الصبا[2]".

فكانت للبيئة الفكرية أثر شجّعه على نضوجه في عصره، وعزّز دوره الكبير، فعصره شهد ازدهارا من أجمل أيام العربية، وكان العلم والأدب يرفعان صاحبهما، فألهماه موهبته، فالتحق بمجالس البصرة الفكرية التي تتنوع فيها حلقات الأدباء، وكان يستفيد من كل حلقة وما يدور فيها، وفي ظل تلك الظروف نضج فكر الجاحظ واقترب من الباغة والمجانين وجالس الشعراء والادباء... وغيرهم في اوساط مختلفة وهذا مازاده معرفة[3]

1ينظر: فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عن الجاحظ: مكتبة انجلو المصرية، مطبعة ابناء وهبة حسان، 1995-2005 ص210

2 المرجع نفسه، ص21

3 ينظر: فوزي السيد عبد ربه ص21-22

ثقافته وشيوخه:

لا يخفى أن ثقافة الجاحظ تجلت في عصره الحساس، وكانت الثمرة الناضجة لكل جهود الحركة العقلية والذهنية التي نضجت بها المعتزلة في عصره وقبل عصره، سواء من حيث وضوح المنطق، أو من حيث قوة الاستدلال، أو من حيث القدرة على توليد المعاني، أو من حيث التزامه في مادتها وأساليبها وروعة التعبير، إذ كانت تُستلهم من مخازن عقلية لا تنفذ[1].

ويشير الياقوت إلى أنه كان "أوسع العلم بالكلام، كثير التدبر فيه، شديد الضبط، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا، وهو عالم بالقدر، من المعتزلة، وفي غير المعتزلة من العلماء الذين يرفعون الرجال ويميّزون الأمور"[2].

ومما تأكد في هذا الإطار أن الجاحظ تميّز عن علماء عصره وكان نابغة العرب، ولم يكن أديبا منقطعا، بل كان فيلسوفا وناقدا وشاعرا، وشغل وشمل في كل مجال وعلم، وقد درس وكان فيه ما يذكّر بعظمته، إذ آراءه يتناولها أدباء كثيرون، وتفوّقت ثقافته الحاضنة من أساتذة عصره، وكان لها الأثر الذي لا يُجحد إذ يشهد على ذكائهم.

وقد تتلمذ الجاحظ على جلة من اساتذة عصره، تعددت ثقافتهم وتنوعت مشاربهم وكان لهم الاثر الذي لايجحد على ثقافتهم وتكوينه العلمي[3].

1 ينظر: المرجع السابق ، ص27

2 طه ابراهيم، تاريخ النقد الادبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بالقاهرة، 1937، دط، ص 75-76

3 المرجع السابق، فوزي السيد عبد ربه، ص23

اعتزاله: كان الجاحظ معتزليا، اعتمد كليا على آراء المعتزلة في النظام[1]، والاعتزال عند الجاحظ يعني التوسط والعدل بين التفريط والإفراط، وهو يقول إن جميع الفرق من شيعة ومرجئة وخوارج وأهل سنة وقعت في التفريط أو الإفراط، إذا عالجوا مسائل الصفات والإيمان والإمامة، إلا أنهم راعوا جانب القصد في إحكامهم، أما المعتزلة فقد تجنبوا الإفراط والتقصير وانتصدوا في إحكامهم فأصابوا[2].

وسُمّيت المعتزلة كذلك لأنهم انتزحوا عن جميع الفرق التي كانت موجودة منذ نشأتهم، وانفردوا بأقاويلهم وآراء خاصة[3]، وكانت لهم فرقة عظمى نُسبت إلى اسم الجاحظ وسُمّيت "الجاحظية"، ومن آرائهم المشهورة ما يلي:

– الفلسفة المادية الطبيعية: فالجاحظ كان يقول بتقدّم المادة، وهو قول مأثور ذهب إليه بعض اليهود وفلاسفة اليونان الطبيعيين القدماء في تقدّم المادة على قِدَم العالم وانعدام فناء المادة[4]، وقد نقل الجاحظ هذا المفهوم إلى مجال الأدب والشعر. وفي نفس الفكرة يقول محمد غنيمي هلال: "إن قدامة يتلاقى مع الجاحظ في نفس الفكرة، وهي ان المعاني مادة الشعر، والشعر فيها كالصورة[5]

1 كارل بوكلمان، تاريخ الادب العربي، ج2، نقله الى العربية عبد الحميد النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1993 ص112

2 علي بوماحم المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار مكتبة الهلال، بيروت، 2004، ص 198

3 المرجع السابق ، ص200

4 زهدي جار الله، المعتزلة، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1974، ص146

5 محمد غنيمي هلالن النقد الادبي الحديث، نهظة مصر، القاهرة، 2004، ص246

و الجاحظ كونه معتزليا فسر الشعر بنفس الطريقة التي فسر بها القرآن فالإعجاز في القرآن مارده الى حسن النظم وروعة التأليف وهذا النظم يتميز: "بحسن الصوغ وكمال الترتيب، ودقة انتقاء الالفاظ وحسن اختيارها بحيث يكون اقدر.

وفاته:

ظل الجاحظ منهمكا بالعلم والتعليم حتى الشيخوخة، إلى أن ضعُف بصره، إلا أن ذلك لم يمنعه من تثقيف نفسه. وكما اشتُهر باستقراره بسبب ضعف بصره، أنفق ما تبقى من عمره في الكتابة والتأليف، إلا أنه لم يقف نفسه عن النتاج، فأخذ ينتج ويبيع، ثم زادت عليه العلة فأصيب الكتابة والتأليف، فأخذ ينتج ويبيع أيضا[1].

وبقى "على هذا الحال من المرض والألم حتى وقعت عليه مجلدات الكتب أحبّها، وبقي وحيدا حول حياته"[2].

"وكانت وفاته عند شهر المحرّم سنة خمس وستين ومائتين من الهجرة بالبصرة، وقد بلغ نحوا على تسعين سنة"[3]، عاش الجاحظ تسعون سنة، وسخر كل حياته في القراة والمطالعة وسبب عزيمته واصراره وحبه الى التعلم لم يكن مرضه وشيخوخته عائق امام ابداعه، وهذا ماجعل منه كبار الادباء في العصر العباسي، وفي الحضارة العربية الاسلامية ككل.

1 فوزي السيد عبد ربه، المرجع السابق ص32

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها

3 ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: احمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط1، ص144

ثانيا: كتاب البيان والتبيين:

إن كتب الجاحظ كانت موضع اهتمام العلماء على اختلاف ثقافاتهم، وإذا كانت هذه الكتب قد نالت من الشهرة ما نالت، فلأن كل مشتغل بالعلم على اقتنائها والإفادة منها، فيُقبَل لما يتماشى به **البيان والتبيين**.

- موضوع هذا الكتاب: هل أشهر هذه الكتب أكثر ما ذيوعاً وانتشاراً؟[1]

لقد اهتم العلماء والدارسون بمؤلفات الجاحظ وجعلوه مصدر اقتباساتهم، خاصة كتاب البيان والتبيين، إذ كثيراً ما كانت مؤلفات الجاحظ هي نتاج عمر مطوّل، وحصيلة تجارب وذخيرة أدبية ولغوية رغم أن السمكية لالحيوان في قوله قد أشار إلى البيان والتبيين، إلى أن كل مصحح من مصاحب كتابه — كانت العادة أن كتب الحيوان يُجعل من ديوان المثال — لما ذكرته مضرعجبك بذلك، فأحسنت أن يكون صفاً لهذا الكتاب؛ فإذا ذلك أوفر إن شاء الله.[2]

يقول عبد السلام مصدي على أثر هذا الكتاب "في ثقة: انه ليس يوجد اديبا نابه في العربية لم يسمع بهذا الكتاب او لم يفد منه، فلما تجد اديبا من المحدثين لم يتمرس بما فيه من ادب، كما كان من هذا الكتاب مادة غريزة استمدها كبار المؤلفين القدماء في مؤلفاتهم كإبن قتيبة في عيون الاخبار والمبرد في الكامل، وابن عبد ربه في العقد، والعسكري في الصناعتين[3] وغيره من الادباءالذين استفادوا منه.

1 فوزي السيد عبد ربه، مقاييس البلاغة، ص39

2 المرجع السابق الصفحة نفسها

3 الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص1-4

ونجد ابن خلدون يعتبر كتاب البيان والتبيين من أمهات كتب الأدب العربي، فيقول: "سمعت من شيوخنا مجالس التعليم أن أصول نقد الأدب وأركانه أربعة، وأدمج الكتاب بين تقنية الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والنوادر للقالي وما سوى هذه الأربعة تتبع لها وفروع عنها[1]".

وكما أشرنا سابقاً فإن البيان والتبيين هو آخر ما ألفه الجاحظ، وأدركنا ما له من تتمة وأهمية يتميز بها عن سائر لغاته، أي في آخر حياته العربية. ففي الجزء الأول يشرح الجاحظ البيانَ والتدسين، ويبين صنوب البلاغة ومداها، وفي الجزء الثاني يتصدى لبيان الخطابة والشعر، وفي الجزء الثالث يرد على الشعوبية مطالعاً ما يتعلق بها من العرب.[2]

1 ابن خلدون، كتاب العبر والديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والمعجم البربر وعاصرهم من ذوي السلطات الكبر مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، ط 3، مج 1 ص1927

2 ينظر: عبد المنعم خفاجي، الحياة العربية في العصر العباسي، دار وفاء الدين، جامعة فرجينيا، دط، 2004، ص315

-أسلوب الجاحظ:

نرى أسلوب الجاحظ في تنوعه واستطراده فإنه يجد ماوجب من الجد ويهزل ما حسن الهزل، وماهو يستقر نسقا واحدا في الموضوع الواحد بل يمضي دفقا متنوعا متقلبا تنوع طباع الكتاب وتقلباتها اذ يحكي ويقص، ويسرد ويحلل ويعلل ويصف ويعرض الشواهد والنماذج ثم يستطرد، ويتباين بتباين مواضيع الكتاب واشخاصه من كتاب وخطباء ومعلمين وناس عاديين وغير عاديين.[1]

فالجاحظ لايتقيد بنظام محكم، ولايلتزم نهجا مستقيما يحذوه، ولذلك تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا

ثم يدعمها في إنشاء ذلك ليدخل في قضية أخرى، لم يعود إلى ما اسلف من قِبَل، وهذه قد كانت في سبيل كثير من علماء دهره كما ان علو سنه وجدة التأليف في ذلك الابحاث التي تطرقها، اولائك كان شفيعا له في هذا الاسترسال والانطلاق[2]

ومن خلال ما سبق نستنتج من أسلوب الجاحظ قائماً بكتاب البيان والتبيين كان يلتزم بظاهرة واحدة الذي يذكر موضوع ثم يتطرق إلى آخر، ثم يعود من جديد إلى الموضوع الأول المتحدث فيه، وكانت هذه الطريقة يستخدمها أغلب علماء عصره، واتسم أسلوبه بالبعد والتكلف والغموض في قوله: "أحسن الكلام ما كان قليل يغنيك عن كثيره"، ومعناه في ظاهرة لفظه، وكان الله عزوجل قد ألبسه من الجلالة وغشاء من نور الحكمة، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث والتربة[3].

1 كاظم حطيط، دراسات في الادب العربي البيئة العباسية دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1988 ص51

2 الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص 1-4

3 المرجع السابق، ص83

دوافع التأليف: جاء كتابا *البيان والتبيين*، يحمل كثيرا من الفوائد، وجم المنافع لما اشتمل عليه واصبح يعد نبراسا ونورا في العالم اضاء الطريق الى ما جاء بعده.... ويروج سبب تأليف الجاحظ لهذا الكتاب ليكون احد الكتب التي تدافع عن البيان العربي ومظاهره، وجاء كرد فعل على شعوبية ويرد الاتهامات لانهم كانو ينتقصون ولانهم كانو يستعينون بالعصى، ويبين فضل العرب على غيرهم حيث يظهر ذلك في مقدمة كتابه اذ يقول "اللهم اني نعود بك من فتنة العمل ونعود بك من التكلف، لما لا نحس كما نعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من العي الحصر وقديما ما تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله في السلامة منها[1].

1 المرجع السابق، ص1-3

ثانيا: تعريف البيان والتبيين:

أ- البيان لغة:

إن الخوض في مسالك البيان يقضي البداية الطاف النظر في الأصول اللغوية لهذا المصطلح، وتتبّع رحلته في المعاجم اللغوية العربية التي يجيل نظره في هذه المعاجم قدميها وحديثها ، يدرك لا محال أنها لا تختلف في مجملها على اسند للفظة "البيان" من معنى، فقد جاء في مقاييس اللغة لابن *فارس (ت 395هـ):(* بان الشيء: إذا اتضح وانكشف، و فلان أبين من فلان أي أوضح كلاما منه.)[1]

- **وجاء في "لسان العرب" لـ ابن منظور (ت 711هـ)** في مادة بين: والتبيان: ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها.

وبان الشيء بيانا: اتضح فهو بين، وابان الشيء فهو مبين قال الشاعر:

لو دب ذرى فوق ضاحي جلدها ولابان عن اثارهن حدور

- **والتبيين:** الايضاح، والتبيين ايضا الوضوح والبيان الفصاحة واللسن، وكلام بيّن فصيح والبيان: الافصاح مع ذكاء البين من الرجال من الفصيح[2]

وعلى نهج صاحبي مقاييس اللغة ولسان العرب سار صاحب القاموس المحيط الفيروز الاباضي توفي سنة 817 هـ اذ يقول:"بان بيانا: اتضح فهو بيّن ج: الابيناء"[3] وفي هذا المقام نفسه يقول الزبيدي توفي سنة 1205هـ: بنته بالكسر، وبينته وتبيينه واستبينه: اوضحته وعرفته فبان وبين وتبين واستبان[4].

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979، مادة (بين)، ص1-8

2 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دت، ص406-407 مادة (بين)

3 الفيروز الابادي، القاموس المحيط، تح : محمد ناعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 2005، ص1128 مادة (بين)

4 ينظر البزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: هلالي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 2001، ص34-297 مادة (بين)

حاصل النظر فيما سبق ان جملة المعاني التي تدور في جذر الفلك اللغوي (ب ي ن) لا تخرج عن معنى الوضوح والانكشاف والوضاحة واللسن

– ولقد ذكرت لفظة البيان في القرآن الكريم صراحةً وفعلا و مصدرً —من ذلك في قوله تعالى: ﴿الرَّحمن عَلَّمَ القُرآن، خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَه البيانَ. ﴾[1] سورة الرحمان الاية 11-4

فالبيان من أجل نعم الله سبحانه على عباده، وقال عز وجل: "هَذا بيانٌ للنَّاسِ وَهُدىً وَمَوعِظَةٌ لِلمُتَّقين" [2] سورة ال عمران الاية 138

أي أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، فإنزال هذا الكتاب العزيز على الأمة منة عظمى، فهو سبيل الهداية. وقال تبارك وتعالى: ﴿ما أنزلنا عليك الكتاب إلا للذين لهم يختلفوا به، وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون﴾[3] سورة النحل 64

ب – البيان اصطلاحاً —حريٌّ بنا في هذا المقام أن نضبط مفهوم البيان ونحصر مضمونه في حيز يبدي لنا معارف هذا العلم البلاغي الجليل، ولا يتأتى لنا هذا إلا بالوقوف على تعريفه الاصطلاحي.

– ومن أهم التعاريف الاصطلاحية: نجد تعريف **الخطيب القزويني (ت 739هـ)** والذي يقول عنه: "عِلم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطُرق مختلفة، في وضوح الدلالة عليها، ودلالة اللفظ إما: على موضع له أو على غيره"[1] وعليه فعلم البيان أحد علوم البلاغة، والذي يُعنى بالبحث في طرق وكيفيات تأدية المعنى في حلل مختلفة الصور والاشكال و لكل منهما مميزاته فقد تمتاز بالابداع والجمال فقد تتصف بالغموض والاضمحلال.

1 ينظر الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: هلالي مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 2001، ص34-297، مادة (بين).

- **ويلخّص السيوطي(ت 119هـ)** تعريف البيان وأقسامه في أبيات شعرية قائلاً فيها[1]:

عِلْمُ الْبَيَانِ هُوَ مَا بِهِ عُرِفْ ... إِيرَادُ مَعْنًى وَاحِدٍ بِالْمُخْتَلِفْ

مِنْ طُرُقٍ فِي الِاتِّضَاحِ مُكْمِلَهْ ... فَاللَّفْظُ إِنْ دَلَّ عَلَى الْمَوْضُوعِ لَهْ

فَسَمِّهَا دَلَالَةً وَضْعِيَّهْ ... أَوْ جُزْئِهِ أَوْ خَارِجٍ عَقْلِيَّهْ

وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ الْإِيرَادُ فِي ... عَقْلِيَّةٍ وَلَيْسَ فِي تِلْكَ يَفِي

وَمَا بِهِ أُرِيدَ لَازِمٌ وَقَدْ ... قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى أَنْ لَمْ يَرِدْ

مَجَازٌ اوْ لَا فَكِنَايَةٌ وَقَدْ ... يُبْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ أَوَّلٌ وَرَدْ

يتضح هنا ان تعريف السيوطي لعلم البيان لايختلف عن تعريف القزويني، اذ اتفق كلاهما على ان البيان علم يبحث عن في طرق ايراد المعنى الواحد بصور مختلفة، ويشير السيوطي توفي سنة 911 هـ الى اصناف الدلالات مقسما اياها الى دلالة وضعية وتتحقق استعمال اللفظ فيما وضع له، ودلالة عقلية تتحقق بإستعمال اللفظ في غير ما وضع له مع وجود قرينة، ثم ذكر الاحتمالات البيانية التي بها يختلف ايراد المعنى وضوحا وغموضا، وهي المجاز الكناية، التشبيه وكل هذا الاختلاف يكون على مستوى الدلالة العقلية.

من التعاريف الاصطلاحية للبيان: أيضاً أنه علم يبحث عن كيفيات تأدية المعنى الواحد بطرق مختلف في وضوح دلالتها، وتختلف في صورها واشكالها، وما تتصف به من ابداع وجمال اوقبح و ابتذال2.

ومن هنا يمكن ان نقول ان علم البيان كفيل يبحث جماليات ايراد المعنى في صور وقوالب شتى، فتارة عن المجاز واخرى عن طريق الاستعارة ومرة عن طريق التشبيه ولاتنسى الكناية في هذا.

السيوطي، شرح العقود في المعاني والبيان، تح: ابراهيم محمد الحمداني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2011، ص191

عبد الرحمان حسن الميداني، البلاغة العربية، اسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص136

ثانياً — البيان عند البلاغيين والمفسرين:

أ-عند البلاغيين: إن الله بحكمته وبرحمته أنزل كتابه بياناً وهُدىً للعالمين، فتكفّل بحفظه وتبليغه للناس أجمعين، فقيض له من العلماء من نذرو انفسهم لخدمته تفسيراً وإبلاغاً وبياناً، فكان البلاغيون أكثر العلماء التصاقاً بالقرآن الكريم، لأنهم يبحثون في سر الفصاحة وكنه البراعة، فدرسوا نظمه الذي أعجز البصر، كأنه صغيرهم وكبيرهم، عربيّهم واعجميهم.

ومن بين البلاغيين الذين عُنِّوا بالبيان العربي: الجاحظ (ت 255هـ)، الرماني (ت 386هـ)، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، والسكاكي (ت 626هـ)

- البيان عند الجاحظ (ت 255هـ: الذي يجيل النظر في عنوان كتاب البلاغيين البيان والتبيين للجاحظ، سيدرك لا محال انه معلما تراثيا يوصل للدرس البلاغي عامة .**يعرف الجاحظ البيان:** إنه من الدلالة الظاهرة على المعنى الخفيهو البيان الذي سمعت الله عز وجل، يمدحه ويدعوا اليه ويحث عليه، لذلك نطق القرأن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت على اصناف العجم"[1].

- ويقول في موضوع آخر:" البيان اسمٌ جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجّم على محصوله، كائنا ماكان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لا ما دار الامر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو للفهم والافهام، فباي شيئ يلغة الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك فهو البيان في ذلك الموضع[2]

من خلال هذين التعريفين نستخلص ان البيان عند الجاحظ هو المعنى وانكشافه، وما وظيفته الا بلوغ الفهم او الافهام سواء كان ذلك بلفظ او غير لفظ وهذا ما اشار اليه قائلا: (وجميع اصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ 5 اشياء لاتنقص ولا تزيد: اولهما اللفظ ثم الاشارة، ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى النصبة)[3].

1 الجاحظ البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دت، ص75

2 المرجع السابق ، ص76

3 المرجع ا نفسه، الصفحة نفسها

البيان عند الرماني: توفي(386 هـ)ثبت في كتب التراجم ان الرماني كان محبا للعلم واسع الاطلاع للادب وعلوم اللغة والنحو كان الى جانب ذلك ميالا لعلوم المنطق والفلسفة ويبدوا اثر هذه العلوم في تصانيفه واسلوب تاليفه، كما برع في علوم القرأن والتفسيير فألف فيهما[1]

يرى الروماني ان البلاغة على 10 اقسام اولهما المجاز ثم التشبيه ثم الاستعارة ثم التلاؤم، ثم الفواصل ثم التجانس ثم التصريف ثم التضمين ثم المبالغة وحسن البيان، وقد تطرق اليها بابا تلوى الاخر، يقول في باب البيان " هو الاحذار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الادراك اي ادراك المعاني بالنفس والعقل والكلام وقد يكون بينا وضحا وقد يكون معقد غير بين وليس كل بين مفهوم"[2]

وقال: البيان على اربعة اقسام " كلام وحال واشارة وعلامة والكلام على وجهين: كلام يظهر به تميز الشيء من غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان[3] وفي السياق ذاته يبين الرماني على حسن البيان بقوله:" حسن البيان في الكلام على مراتب: اعلاها مرتبة ماجمع اسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى بحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس"[4]

وهكذا عرض الروماني محاولا بجهده وهمته وقدرته وشرحه وتوضيحه.

1 ينظر: الرماني، النكت في اعجاز القرأن ضمن ثلات رسائل في اعجاز القران الكريم، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله احمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3 ، ص10

2 المرجع السابق، ص 106

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها

4 المرجع نفسه، ص107

البيان عند السكاكي: (626 هـ) يعد مفتاح العلوم السكاكي محطة هامة في تاريخ البلاغة العربية، فقد رسم فيها معالم البلاغة واوضح علومها وحدد مصطلحاتها، وفي هذا السياق يقول حامد خلفي الربيعي: "وفي القرن السابع عشر كانت النقلة الحقيقية والتطور الواضح حيث ظهر كتاب السكاكي مفتاح العلوم حيث صنف الظواهر البلاغية ، ووضع صنف منها تحت اسم علم البيان وفي هذه المرحلة من حياة المصطلح، ضاق مفهومه فبعد ان كان عام الاصول في القول اصبح مختصا بجزء منها، وصار علما عن بعضها"[1]. وفي هذا النص يتحدث خلف الربيعي عن تصنيف السكاكي عن علوم البلاغة – المعاني – البيان البديع وخص بالذكر علم البيان لان السكاكي اسهب الحديث عنه في كتابه وتطرق لصوره واقسامه

يقول السكاكي في تعريفه لعلم البيان: هو معرفة بإراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليها وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[2]

ومن مباحث البيان التي عرض لها السكاكي في كتابه مبحث المجاز والتي عرفه بقوله: "انه الكلمة المستعملة في غير ماهي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في التعبير بالنسبة الى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن ايراد معناها في ذلك النوع"[3]

1 حامد خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الادباء والعلماء، جامعة ام القرى، السعودية، دط، 1996، ص617

2 السكاكي مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، دط، ص61

3 المرجع السابق، ص 589

ومن هنا يمكننا القول عندما استوقفنا من محطات بيانية عن كبار البلاغيين الذين قعدوا واصلو للدرس البلاغي، يمكن ان نستنتج ان البيان من زاوية نظرهم "طريقة خاصة في التعبير تستمد مقوماتها من السنن العربي، اذ ليس المدار في البيان باللفظ على الافهام، وانما على الطريقة التي يكون بها ذلك الافهام، ومايقتضيه من عناية بفنية الصياغة بحيث تبدوا على قدر من الجمال البياني وتحتل مكانتها في البلاغة[1].

1 حامد خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الادباء والعلماء، جامعة ام القرى، السعودية، دط، 1996، ص182-183

ب البيان عند المفسرين: بعد ان ذكرنا ما سالت به احبار جهابذة علماء البلاغة في الدرس البياني وصوره المتنوعة فإنه لاجرم ان تتصف صنوف تفاسير القرأن لنعرض اهم ممارسات المعالجة البيانية وقد اخترنا على سبيل المثال لا الحصر الزمخشري "في تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل" وابن عطية في مصنفة "المحرر وجيز في تفسير الكتاب العزيز"

- البيان عند الزمخشري (ت 538 هـ): غني عن البيان ان المقاييس البيانية كانت راسخة في عقول العرب قائمة في نفوسهم كأصول وممارسات، وتجب الاشارة ان بيئة المفسرين كانت مرتعا لنشوء الملاحظات البيانية، ممتزجة بنفحة قدسية لان المفسر يوظف اليات البيان لتفسير كلام المنان ومن بين المفسرين الذين تلمس عندهم هذه البيانية: جار الله الزمخشري (ت 538 هـ) في تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل" اذ جرى في ذلك الى غاية بعيدة المدى مترامية الاطراف تكن القيمة العلمية لهذا التفسير لانه: لم يسبق مؤلفه اليه، لما ابان فيه من وجوه الاعجاز في غير ما اية من القرأن، ولما اظهر ما فيه من جمال النظم القرأني وبلاغته وليس كالزمخشري من استطاع ان يكشف لنا عن جمال القرأن وسحر بلاغتي لما بلغ فيه من المعرفة في كثير من العلوم[1]. فإشتهر الزمخشري بكشافه حتى عرف به، وقيل عنه صاحب الكشاف، يعود ذلك الى ما حواه ذلك التفسير من علوم شتى، كالبلاغة والادب والفقه والقرات واللغة والنحو واهتم العلماء بالكشاف اهتماما كبيرا، ووقفوا معه وقفات متعددة، فوصفوا محاسنه وجوانب نبوغ صاحبه فيه[2] ومنه فالكشاف تفسير كبير الاثر، عظيم الفائدة مشهود له بالفضل الجميل، والمطلع عليه يجد انه قد برزت فيه كثير من الملامح البيانية، ففي تفسير قوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ". سورة البقرة الاية 16

1 محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهيبة، القاهرة مصر، دت، دط، ط1، ص306

2 ينظر: دلدار عفور احمد امين، تفسير الكشاف للزمخشري، دراسة لغوية، دار دجلة، الاردن، ط1 ، 2007، ص23

يقول الزمخشري: "لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحظار العلماء المثل والنضائر شأن ليس خفي في ابراز خيبات المعاني، ورفع الاسطار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتقين"[1]

يمكننا القول من خلال ما سبق ذكره نلحظ ان فكرة التشبيه في ذهن الزمخشري اذ لاتكاد تخلوا صفحة من صفحاته من الاشارة الى هذا الفن موضحا في ذلك فظله في بيان المعاني والكشف عنه، وقد استغرق حب البلاغة قلب الزمخشري وملئ فكره، فاثر ذلك على تفسيره للقرأن الكريم مما اضفى عليه لمسة بيانية تعكس ذوق المفسر وسلامة فطرتهن مما ورد عنه من باب المجاز ما ذكره في تفسير قوله تعالى: " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ" سورة الانباء اية 69

1 الزمخشري، المرجع السابق، ص53

البيان عند ابن عطية: (ت 546 هـ)

نزل القران الكريم بلسان عربي مبين فكان ذو دلالات متسلسلة غير متشابهة، صالحة لكل زمان ومكان، لذلك يستطيع كل دارس ان يجد ظالته في الكتاب العزيز، ومن بين الدارسين الذين اهتموا ببيان المعاني كلام ربنا الحكيم، العالم الجليل ابن عطية (ت 546 هـ) في تفسيره المسمى "بالمحرر الوجيز في الكتاب العزيز"

يعقد ابو حيان (ت 745 هـ) في مقدمة تفسيير مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري يقول في ذلك: "وكتاب ابن عطية انقل واجمع والخص وكتاب الزمخشري الخص واغوض"[1] والذي ينظر في تفسير ابن عطية من زاوية اكثر شمولية، سيلحظ استخدامه لالوان البيان التي احاط بها النص القرأني، وفي ضوئها فسر معانيه، ومثال ذلك ما اورد في قوله تعالى "**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ**"

سورة البقرة اية(17)

"والمَثَلُ والمِثْلُ واحد، معناه الشبه، هكذا نص اهل اللغة والمتماثلان المتشابهان"[2] ويفهم من كلام ابن عطية ان المثل والشبه وجهين لعملة واحدة، حسب ما اشار اليه اهل اللغة، ثم يورد شرحه للاية قائلا: "مثلهم كمثل" معناه ان اللذي يتحصل في نفس الناظر في امرهم كمثل الذي يتحصل في نفس الناظر في امر المستوقد... وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد، لان بقاء المستوقد في الظلمات لايبصر، كبقاء المنافق على الاختلاف المتقدم[3].

1 ابو حيان الاندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 2010، ص21

2 ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج1، ص98

3 ينظر: المرجع السابق، ص 99-100

وهذا ما اشار اليه عبد الرحمان بن ناصر السعدي في تفسيره "تيسر الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان" قائلا:" اي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا اي كان في ظلمة عظيمة وحاجة الى النار الشديدة التي استوقدها من غيرهم، ولم تكن عنده معدة بل هي خارجة عنه، فلما اضاءت النار ماحوله ونظر الى المحل الذي هو فيه، ومافيه من المخاوف وامنها، وانتفع بتلك النار، وقرت عينه، وظن انه قادر عليها، فبينما هو كذلك، اذ ذهب اليه بنوره"[1]. ومثاله ايضا قوله تعالى:" **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**" البقرة الاية 171 ، وبين ابن عطية هذا التشبيه لكنه لم يوضح نوعه يقول في ذلك:" المراد تشبيه واعض الكافرين وداعيهم، والكافرين الموعضين بالراعي الذي ينعق بالعنم او الابل فلا تسمع الا دعاءه ونداؤه، ولا تفقه ما يقول"[2] وملاحظ ان ابن عطية فسر هذه الاية الكريمة في ضوء صورة من صور علم البيان وهي التشبيه، اذ بين ان الله سبحانه وتعالى قد شبه الكفار والسفهاء عند دعائهم للإيمان بالبهائم التي ينعق لها راعيها، فهي لاتفقه قوله انما تسمع صوته فقط،

وقد نحى ابن عطية منحنى غيره من المفسرين في تفسير الايات المتضمنة للمجاز ومنه قوله تعالى:" **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** "سورة يوسف الاية 36

يقول ابن عطية "اعصر خمرا: قيل انه سمي بالعنب خمرا بالمال"[3] وهنا اشارة الى المجاز المرسل وعلاقته اعتبار ما سيكون ومن امثلة ذلك قوله تعالى: **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**"البقرة اية 49

1 عبد الرحمان بن ناصر السعدي تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، قدم له عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، محمد بن صالح العثيمين، تح: عبد الرحمان ابن معاذ اللويحق، مكتبة دار الريان، الجزائر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص30

2 ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص238

3 المرجع السابق، ص 243

يقول ابن عطية في ذلك: "المرض عبارة مستعارة للفساد في عقائد هاؤلاء المنافقين وذلك اما يكون شكا او جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة مايجحدون"[1]

فقد شبه فساد النفوس والقلوب بالمرض على سبيل الاستعارة من ذلك قال تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**" الاحزاب الاية 46 يقول ابن عطية في هذه الاية الكريمة: " سراجا منيرا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه فكأن المهديين به والمؤمنين يخرجون به من ظلمات الكفر"[2] ومنه نستنتج ان هذه الاية الكريمة استعارة اذ شبه النور الرسالة المحمدية وشرع الله تعالى بالسراج المنير.

ومن هنا نلاحظ ان الاستعارة براعة في التصوير وبلاغة في التقريب. وفي خظم كل هذا لايمكن ان نغفل عن ذكر الكناية فهي ايضا ادات من ادوات البيان، ومن النماذج الواردة في تفسير ابن عطية نذكر قوله تعالى: **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)**"سورة الرحمن اية 24-26. يقول في ذلك قوله: كالاعلام وهو الذي يقتضي هذا الفرق للارض المنشأت فيعم الصغير والكبير في قوله "كل من عليها" للارض وكن عنها ولم يتقدم لها ذكر لوضوح المعنى[3] .

ومن هنا نستنتج ان ابن عطية قد عرض لقضايا بيانية كثيرة عادة على تفسيره بأحمد النتائج واطيبها فكانت وسيلة للكشف عن جماليات اسلوب القران الكريم، واعجازه البلاغي.

1 المرجع السابق ص243

2 المرجع نفسه، ص389

3 المرجع نفسه، ص229

ج تعريف التبيين:

ان مفهوم التبيين يقترب من مفهوم البيان الا انه يختلف عنه بتضعيف عين الفعل او المصدر فينقل المعنى من البيان الى حسن البيان وبالتالي نجد في مفهوم التبيين اهتمام المتكلم بالمخاطب وتوجيه الكلام اليه، فالغاية من تضعيف العين كثيرا ما يؤتي بها للتعدية فهناك فرق: بين و بيّن كما انه يأتي بها للتكثير وهكذا ما يكون مرادفا للبيان مع ميزة تميزه عنه هي التأكد او التوسع في المعنى الا ان احسن البيان يقتضي اعدادا خاصا وتعليما ورياضة فإنه اكثر ما يلاحظ عند المعلمين[1] واذ اردنا ان ندرك جيدا مفهوم التبيين علينا ان ندرسه من خلال مفهومين اخرين هما الفهم والافهام، فيقول الجاحظ:" بعد ان نذكر ان مدار الامر على البيان والتبيين، والمفهم لك، والمتفهم عنك شريكان في الفضل، الا ان المفهم من لمتفهم وكذلك المعلم والمتعلم[2] وهذا ما اشرت اليه في الفقرة السابقة ومن خلال ما تقدم نستنتج ان الجاحظ في تصنيفه للبيان كان على شكل الفهم والتبيين وايضا على شكل الافهام ويتضح هذا جليا في الكل الاتي:

الافهام	الفهم
المتكلم	المخاطب
المفهم لك	المتفهم عنك
المفهم	المتفهم
المعلم	المتعلم
القائل	سامع
سوء الافهام	سوء الفهم
الناطق	السامع
الافهام اذا حدثت	التفهم اذا حدثت
التبيين	البيان

يبدو للوهلة الاولى ان هذا المخطط فيه تناقض لكون ان للبيان علاقة بين المتكلم والمخاطب، لكن هذا التناقض سيزول ان اخذنا في الحسبان الطرف الثالث المعني في كل اداء كلامي،1

وهو الدليل لان المتكلم بالنسبة لهذا الاخير هو في وضعية مخاطب وهذا ما يوضحه لنا الجاحظ في نص اخر يقول فيه: "وانما مدار الامور الغاية التي يجرى اليها، الفهم ثم الافهام، والطلب ثم التثبيت"[2] فالفهم هو الطلب، طلب المتكلم المعنى من الدليل(العلامة) وطلب المخاطب المعني من المتكلم والافهام هو التثبيت: افهام المتكلم المخاطب والتثبيت في ايصال المعنى اليه[3] فمدار البيان بنسبة لكل متكلم والسامع ينطلق فيه اللفظ نحو المعنى هو الغاية التي يسموا اليها كل من المتكلم والسامع4.

1 المرجع السابق، ص212

2 البيان والتبيين للجاحظ، ص 39

3 المرجع السابق، ص213

4 نفس المرجع، الصفحة نفسها

اما فيما يخص التبيين فلايكون الا من المتكلم ويتجلى في صورة لفظ "تلفظ" فمع اللفظ تكون عملية النطق وكيفية صدور الصوت وما يستتبع هذا من حركات اللسان والشفتين[1] فالتلفظ هنا لايكون الا من المتكلم فبالتالي فصدور الخطاب او الرسالة التي يرسلها المتكلم الى المخاطب واللفظ وهو الذي ينشئ خطاب المتكلم وبلاغة السامع[2].

ومهما يكن من وجود فروقات بين البيان والتبيين فما هما الى كيفية من ابي عثمان للتعبير عن فلسفة الكلامية الرامية الى التوفيق (ربما) بين الدين والعقل و جعل الثاني سليل الاول لما كان العالم الصغير سليل العالم الكبير.

ان نضرية البيان تسعى جاهدة للإجابة عن كل الاسئلة المتعلقة بحياة الانسان فجعل البيان اهم خصائص هذا المخلوق (الانسان) وقد رأى ابو عثمان انه العالم الصغير لانه يحتوي على جميع اشكال العالم الكبير (العالم الخارجي)، كما انه يستطيع ان يصور بيده كل الاشياء في العالم ويستطيع ان يقلد كل شيء بلسانه، كما يقول: وذلك زعمت الاوائل ان الانسان انما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة، ويحكي بفهمه كل حكاية، ولانه يأكل النبات كما تأكل البهائم، ويأكل الحيوان كما تأكل السباع، ان فيه من اخلاق جميع اجناس الحيوان اشكالا، انما تهئ وامكن الحاكية لجميع مخارج الامم، لما اعطى الله الانسان من الاستطاعة (البيان) والتمكين وحين فظله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة"[3].

[1]- ينظر: ابراهيم انيس، دلالة الالفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، 1997، ص38
[2]- ينظر: النضريات اللسانية والبلاغية والادبية، ص214
[3]- المرجع نفسه، ص214

تجليات الاستعارة المفهومية في كتاب البيان والتبيين

تمهيد

تمثل البلاغة العربية أحد أهم علوم اللغة العربية التي تهدف إلى دراسة جماليات التعبير ودلالاته في النصوص، حيث نشأت وتطورت لبيان أوجه الإبداع في التعبير اللغوي العربي، معتمدة على أدوات تحليلية عميقة مثل الاستعارة، والكناية، والمجاز، وغيرها.

ومع تطور العلوم الحديثة، برزت اللسانيات العرفانية كمنهج يهدف إلى تفسير الظواهر اللغوية من خلال العلاقة بين اللغة والإدراك، مما فتح آفاقًا جديدة لفهم قضايا البلاغة التقليدية ضمن أطر عرفانية مختلفة.

في هذا السياق، نقدم من خلال هذا الفصل دراسة تسعى إلى الربط بين الاستعارة – باعتبارها أحد أهم مباحث البلاغة العربية – ومفرزات اللسانيات العرفانية.

1. البلاغة العربية:

1.1. نشأتها:

يختلف المؤرخون في تحديد أوّل من وضع البلاغة العربية كعلم قائم بذاته، إلّا أنّ أغلب المراجع التي اطّلعنا عليها، تكاد تُجمع على أنّ المؤلف الأول والمؤسس الفعلي لعلم البلاغة، أو ما كان يُسمّى قديما بـ: "علم البيان"، هو الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) صاحب كتاب "أسرار البلاغة"؛ الذي خصّصه لوضع نظرية علم البيان، وكتاب "دلائل الإعجاز"؛ الذي كان وضعا لنظرية علم المعاني[1]. وكما هو الحال في باقي العلوم، إذ لكل علم باعث نشأة، فلهذا العلم أيضا عوامل ساهمت في نشأته، نوجزها فيما يلي[2]:

- أنّ العرب أمّة مجبولة على البلاغة.
- نشأ العرب على تذوّق الأسلوب ونقده، وهذا ما قامت عليه البلاغة العربية في مراحلها الأولى.
- بعد اتّساع الرقعة الإسلامية بسبب الفتوحات، واحتكاك العرب بالشعوب المغلوبة، بدأ الفساد يظهر على أذواق العرب، مما استوجب ضرورة وضع ميزان سليم تُوزَن به بلاغة كلام العرب ويعصم ألسنتهم من الخطأ في الأسلوب والبيان.
- إضافة إلى هذه العوامل، كانت الرغبة في فهم أسرار القرآن وإعجازه حافزا لتدوين البلاغة وإقامة الأدلّة العلمية لفهم هذا الإعجاز.

[1]- ينظر: عبد العزيز عتيق، *علم البيان*، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 1985، ص 7، 22 .
[2]- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، *البلاغة العربية بين التقليد والتجديد*، دار الجيل، ط1، لبنان، 1992، ص 32.

1.2. تعريفها:

1.2.1. عند بعض المتقدّمين:

يُعرّف أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) البلاغة في اللغة – في الباب الأول من الفصل الأول من مؤلّفه الشهير "كتاب الصناعتين" – بالغاية، فيقول: "البلاغة من قولهم: بَلَغَ في الشّيء: الانتهاء إلى غايته. وكذا بَلَغَ الرجل: إذا انتهى إليها. ومَبلَغُ الشيء: منتهاه. وسُمّيت البلاغة بلاغة لأنها تُبلِّغ المعنى إلى قلب السامع فيُفهِمه."[1]

أما اصطلاحا فيرى ابن البناء المراكشي العددي (ت 721 هـ) أنّ "البلاغة هي أن يُعبَّر عن المعنى المطلوب بعبارة يُمكِن بها حصوله في النفس متمكنا من غير قصد"[2].

وبعد ما يقارب القرن يأتي الجرجاني (ت 816 هـ) – صاحب التعريفات – ليقوم بدمج التعريف الاصطلاحي مع اللغوي، فيُعرّف البلاغة في الكلام؛ مطابقة لمقتضى الحال، ويقصد بـ"الحال" في هذا المقام؛ الأمر الداعي إلى أن يتكلم المتكلم على وجه مخصوص مع فصاحة الكلام[3]، ويُردِف قوله: "وقيل البلاغة وهي تُطلَق على الوصول والانتهاء، يُقال بها للكلام والمتكلم فقط دون المفرد."[4] وهذا مشابه إلى ما ذهب إليه قبله أبو هلال العسكري.

1.2.2. عند بعض المتأخّرين:

البلاغة بحسب أحمد حسن الزيات "هي التي لا تُفرِّق بين العقل والذّوق، ولا بين الفكرة والكلمة، ولا بين الموضوع والشّكل، إذ الكلام كائن حيٌّ، روحه المعنى وجسمه اللّفظ، فإذا فُصِلَت بينهما أصبح الرّوح الحائر نَفَسًا لا يُتَمَثَّل، والجِسم جامدًا لا يُحَسّ."[1]

وباختصار – كما يقول زكرياء كركوري* – فإنّ البلاغة مفتاح يُمكّننا من فهم الخطاب مهما كان نوعه[2].

---

[1]- أبو هلال العسكري، *كتاب الصناعتين)الكتابة والشعر(*، تحقيق علي محمد البجاوي ومجد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، مصر، 1952م، ص6.

[2]- ابن البناء المراكشي، *الروض المريع في صناعة البديع*، تحقيق رضوان بن شقرون، دار النشر المغربية، الطبعة الأولى، المغرب، 1985م، ص87.

[3]- الشريف الجرجاني، *التعريفات*، المرجع السابق، ص47.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1.3. أقسامها:

تنقسم البلاغة العربية إلى علوم ثلاث، نجسدها وفق المخطّط التالي:

مخطط رقم (2): علوم البلاغة العربية[3]

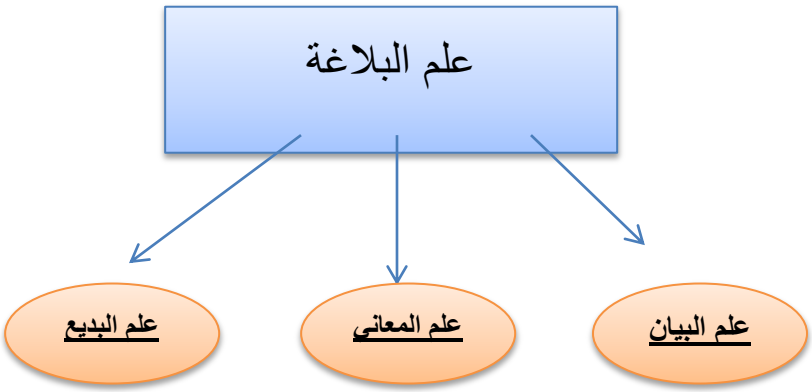

وفقا للمخطط أعلاه فإنّ علم البلاغة ينقسم إلى ثلاثة أبواب؛ تمثّل مواضيع هذا العلم. بالنسبة لعلم البيان فهو – كما يرى السكاكي (ت 626 هـ) – "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، والنقصان، ليُحترَز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[1]، ويهتم علم البيان بدراسة الصُّوَر التعبيرية المتمثلة في التشبيه والمجاز؛ بما فيه من مجاز مرسل ومجاز عقلي، واستعارة، وكناية[1].

أمّا علم المعاني فهو "تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليُحترَز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره"[3]، فعلم المعاني له علاقة وثيقة بتركيب الكلام – سواء أكان ذلك الكلام خبريا أو إنشائيا – ووضعه الموضع الذي يقتضيه المقام، فكما قالت العرب قديما: "لكل مقام مقال". وثالث علم من علوم البلاغة العربية، هو علم البديع؛ يُعنى ذلك العلم الذي "يحسّن وجوه الكلام وتزيينه"، وينضوي تحته كلّ من الجناس، والسجع، والاقتباس والتضمين، والتورية، والطباق، والمقابلة[2].

---

[1]- الأزهر الزناد، *دروس البلاغة العربية (نحو رؤية جديدة)*، المركز العربي للنشر والتوزيع –لبنان، العربية)مجد علي الحامي (للنشر –تونس، الطبعة الأولى، 1992، ص9.

[2]- ينظر المرجع السابق، ص153–175.

تجليات الاستعارة المفهومية في كتاب البيان والتبيين

الجزأين الأول والثاني

تمهيد

يُكثر الجاحظ من استعمال الاستعارات التي تجعل المعانيَ المجرَّدةَ في صورة أشياءٍ ماديةٍ أو كائناتٍ حيةٍ، وهو ما يُبرز العلاقةَ الوثيقةَ بين الفكر واللغة في خطابه، ويُظهر أنَّ هذا التوظيفَ لم يكن عَرَضياً، بل جاء مُنسجماً مع تصوُّره العامِّ لوظيفة البيان. ومن أبرز تجليات الاستعارة المفهومية في كتاب البيان والتبيين في الجزأين الاول والثاني أنموذجا تتمثل في: –

أولاً: المعرفة نور: (الجزء الاول)

يُصوِّر الجاحظ العلمَ والبيانَ بالنور، بينما يجعل الجهلَ ظلمةً، وهي استعارةٌ مفهوميةٌ تجعل الإدراكَ العقليَّ مرتبطاً بالرؤية البصرية، فالإنسانُ يُبصر الأشياءَ بالنور، كما يُبصر الحقائقَ بالعلم. وتقوم هذه الاستعارةُ على انتقال السماتِ الدلاليةِ للنور، مثل الوضوح والهداية والانكشاف، إلى المعرفة، بحيث يصبح 'فهمُ المعنى' مُعادِلاً ذهنياً لـ'رؤية الشيء بوضوح'، وَيصبح 'الغموضُ' و'الالتباسُ' مُعادِلَيْن لـ'الظلام' و'انعدام الرؤية'.[1]

ولهذه الاستعارة استتباعاتٌ دلاليةٌ متعدِّدة في خطاب الجاحظ، من أهمِّها أنَّ البيانَ الجيِّد، كالنور، ينبغي أن يكون كافياً لإزاحة اللبس عن السامع دفعةً واحدة، وأنَّ المتكلِّمَ البليغَ يقوم بوظيفةٍ شبيهةٍ بوظيفة مصدر الإشعاع الذي يُنير الطريقَ لمن حوله؛ ومن ثَمَّ فإنَّ تفاضلَ المتكلِّمين عند الجاحظ يقترب

[1] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418هـ - 1998م، ج1، ص76.

. من تفاضل مصادر النور في شدَّة سطوعها ومدى ما تكشفه من الأشياء. وهذا المجالُ المفهوميُّ نفسُه نجده حاضراً بقوةٍ في الموروث الديني والفلسفي العربي قبل الجاحظ وبعده، مما يدلُّ على رسوخه في النظام المفهومي للعربية لا في خطاب الجاحظ وحده، وإن كان توظيفُ الجاحظ له يتميَّز بكثرة تردُّده وتنوُّع سياقاته.[1]

ثانياً: الكلام كائن حي:

يُعامل الجاحظ الكلامَ معاملةَ الكائن الحي، فيصفه بالقوة والضعف، والحُسن والقُبح، والولادة والنمو، مما يجعل الخطابَ يمتلك صفاتٍ إنسانيةً تؤثِّر في المتلقي. وتُبرز هذه الاستعارةُ أنَّ جودةَ الكلام لا تتعلَّق بالألفاظ فقط، وإنما بحيويته وقدرته على التأثير، تماماً كما تتفاضل الكائنات الحية في قوَّتها وحيويتها وقدرتها على الفعل والتأثير في محيطها.[2]

ويمتدُّ هذا المجالُ المفهوميُّ عند الجاحظ إلى ما يشبه دورةَ الحياة الكاملة؛ فللكلام 'مَنشأٌ' يَنبُت منه، وله 'نموٌّ' يكتسب فيه قوَّتَه، وله 'ذبولٌ' إذا ضَعُفت ألفاظُه أو تكرَّرت معانيه، وله 'صحةٌ' و'سُقمٌ' بحسب اتساق تركيبه. وهذه الاستتباعاتُ كلُّها مترتِّبةٌ منطقياً على افتراض أنَّ الكلامَ كائنٌ حي، وهي بهذا تُقدِّم تفسيراً معرفياً لمعيار النقد البلاغي عند الجاحظ، الذي لا يكتفي عنده بصحة المعنى لغوياً، بل يطلب له حيويةً وقدرةَ تأثيرٍ شبيهةً بحيوية الكائن الحي ذاته.[3]

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، المرجع السابق، ص83.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، المرجع نفسه ، ص17.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، المرجع نفسه، ص34.

ثالثاً: البيان طريق إلى المعنى:

يُشبِّه الجاحظ البيانَ بالطريق الذي يقود إلى المقصود، فالسامعُ ينتقل عبر الألفاظ حتى يصل إلى المعنى، وكأنَّ عمليةَ التواصل رحلةٌ ذهنيةٌ يَسير فيها المستمعُ من نقطة البداية (سماع اللفظ) إلى نقطة الوصول (إدراك المعنى المقصود). وتؤكِّد هذه الاستعارةُ أنَّ اللغةَ ليست غايةً في ذاتها، وإنما وسيلةٌ للوصول إلى المعرفة، وهو تصوُّرٌ يتَّسق مع نقد الجاحظ المتكرِّر للتقعُّر اللفظي والتكلُّف الذي يُطيل الطريقَ على السامع من غير فائدة.[1]

وتترتَّب على هذه الاستعارة استتباعاتٌ نقديةٌ واضحةٌ في خطاب الجاحظ، من أهمِّها أنَّ 'أحسنَ الكلام' هو أقصرُه طريقاً إلى المعنى المقصود من غير وعورةٍ أو التواءٍ، وأنَّ الإطنابَ غيرَ المبرَّر والتقعُّرَ اللفظي يُشبهان عقباتٍ تُعيق سيرَ السامع في هذا الطريق، بينما يكون الإيجازُ المُحكَم بمثابة الطريق المُمَهَّد الذي يقطعه السامعُ بأقلِّ جهدٍ وأكبرِ فائدة. وهذا يفسِّر إعجابَ الجاحظ المتكرِّر بالبلاغة التي تجمع بين قصر اللفظ وكمال الإفهام، باعتبارها أقربَ الطرق إلى المعنى.[2]

رابعا: البعد الدلالي للاستعارة المفهومية

تكشف الاستعاراتُ الواردةُ في "البيان والتبيين" عن شبكةٍ من العلاقات الدلالية التي تُسهم في إنتاج المعنى، إذ ينتقل القارئُ من المجال الحسِّي إلى المجال الذهني بطريقةٍ طبيعيةٍ غيرِ متكلَّفة، وذلك لأنَّ المجالاتِ المصدرَ التي يختارها الجاحظ (النور، الكائن الحي، الطريق) من أكثر المجالات حضوراً في

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، المرجع السابق، ص61.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، المرجع نفسه، ص89.

. التجربة الإنسانية المباشرة، وهو ما يُسهِّل عمليةَ الإسقاط على ذهن المتلقي من غير حاجةٍ إلى شرحٍ أو تأويلٍ معقَّد.[1]

ولا تؤدِّي الاستعارةُ، في خطاب الجاحظ، وظيفةً جماليةً فقط، بل تُسهم في تنظيم التفكير وإعادة تشكيل المفاهيم، لذلك يمكن اعتبارُها وسيلةً معرفيةً قبل أن تكون وسيلةً بلاغيةً. فحين يربط الجاحظُ بين المعرفة والنور، أو بين الكلام والحياة، أو بين البيان والطريق، فإنه لا يُضيف صورةً جماليةً عابرة، بل يُعيد بناءَ مفهومِ 'البيان' نفسِه في ذهن القارئ، بحيث يصبح هذا المفهومُ المجرَّدُ قابلاً للقياس والتفاضل والنقد على غرار ما يُقاس به النورُ، أو يُقاس به الكائنُ الحي، أو يُقاس به الطريق.

كما تؤكِّد هذه الاستعاراتُ أنَّ الجاحظ كان يُدرك أهميةَ التصوير الذهني في عملية الإقناع والتأثير، وهو ما يتَّفق مع التصوُّرات الحديثة التي ترى أنَّ الاستعارةَ جزءٌ من النظام المفهومي للإنسان لا زخرفٌ يُضاف إلى الخطاب من الخارج. ومن هنا يمكن القولُ بأنَّ دراسةَ الاستعارة المفهومية عند الجاحظ لا تكشف فقط عن مهارته البلاغية، بل تكشف أيضاً عن تصوُّرٍ معرفيٍّ متكامل لوظيفة اللغة في التواصل الإنساني، سابقٍ لزمنه بقرونٍ طويلة.[2]

يتبيَّن من خلال دراسة الجزأين الأول والثاني من "البيان والتبيين" ما يأتي:

1. تؤدِّي الاستعارةُ المفهوميةُ دوراً محورياً في بناء الدلالة عند الجاحظ، فهي ليست أداةً تزيينيةً هامشية، بل آليةٌ مركزيةٌ في تشكيل المعنى وتوصيله.

[1] لايكوف، جورج، وجونسون، مارك، الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، تر: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2016م، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص21.

2. يعتمد الجاحظ على نقل الخصائص من المجال المحسوس (النور، الكائن الحي، الطريق) إلى المجال المجرَّد (المعرفة، الكلام، البيان) لتقريب المعاني من ذهن المتلقي.

3. تُسهم الاستعارةُ في تحقيق الإقناع والإفهام، ولا تقتصر وظيفتُها على التزيين البلاغي المحض، بل تتجاوزه إلى بناء التصوُّر الذهني الكامل للمفاهيم.

4. تكشف نصوصُ الجاحظ عن رؤيةٍ معرفيةٍ تجعل اللغةَ أداةً لتشكيل الفكر، وهو ما ينسجم مع الاتجاهات اللسانية الحديثة في دراسة الاستعارة المفهومية، ويُثبت أنَّ هذا الوعيَ لم يكن غريباً عن التراث البلاغي العربي القديم.

5. تتميَّز الاستعاراتُ الثلاث المدروسة (المعرفة نور، الكلام كائن حي، البيان طريق إلى المعنى) بكونها مجالاتٍ مفهوميةً مترابطةً فيما بينها، تتقاطع جميعُها عند مفهومٍ واحدٍ هو غايةُ البيان في الإفهام والتأثير.

خامسا: استعارة: الكلام / البيان جسدٌ أو كائنٌ حي

يرى الجاحظ أن اللفظ والمعنى يشكلان بنية حية تشبه الجسد، وهي من أكثر الاستعارات النسقية حضوراً في الجزء الأول.

- **المجال المصدر (المحسوس)**: أعضاء الجسد، الكساء، المرض، الروح.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: الكلام، الخطابة، المعاني.

الشواهد والنماذج:

- **قول الجاحظ في حدّ اللفظ والمعنى:**

"ومن أراغ معنىً كريماً فليتمسّ له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما... فإنما قلب السرور إلى الحزن كقلب الحزن إلى السرور، واللفظ المعرض كالثوب المعرض." [1]

- **التحليل المعرفي**: هنا يُستعار (الثوب الكاسي) للفظ الذي يستر المعنى ويبرز جماله، فالمعنى مجرد يُرى من خلال لباسه اللفظي.
- **وصف خطبة هجاء أو كلام مضطرب**: وسم الجاحظ بعض الكلام بـ "**الخطل**" أو "**العِيّ**" وجعله كالعاهة الجسدية (العرج أو المرض)، ووصف الكلام السلس بأن له "**رونقاً**" و"ديباجة" (خصائص مادية تعود للحرير أو السيف).[2]

سادسا: استعارة: الأخلاق والسلوك بناءٌ مادي

في الجزء الأول والثاني، عند حديث الجاحظ عن طبائع الناس والخطباء والمجتمعات، تظهر الأخلاق كأنها جدار أو بناء يُرفع أو يُهدم.

- **المجال المصدر (المحسوس)**: البناء، الأعمدة، الهدم، التشييد.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: المروءة، الشرف، الكرم، اللؤم.

الشواهد والنماذج:

- **من خطب العرب المذكورة في الجزء الأول**: قولهم: "**بنى فلانٌ بيتاً في المكارم**" أو "**هدم مروءته**".[3]
- **قول الجاحظ في ذم بعض السلوكيات:"**

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 138.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 145.
[3] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 210.

- **التحليل المعرفي:** يُنقل مفهوم ''الخُلُق'' وهو قيمة غيبية معنوية، إلى فضاء ''الخيمة العربية'' أو ''البناء'' الذي يقوم على أعمدة وأوتاد (الحلم، والبيان)، مما يسهل على السامع إدراك أن انهيار الحلم يعني سقوط الأخلاق بالتبعية كأي بناء مادي.

سابعا. استعارة: العِلْم / المعرفة ماءٌ غزير أو غذاء

يكثر الجاحظ في الجزء الثاني (خاصة عند الحديث عن طبقات الفصحاء والفقهاء والقصّاص) من تداول هذه الاستعارة لتصوير أثر العلم في النفوس.

- **المجال المصدر (المحسوس):** الغيث، البحر، النهر، الشرب، الارتواء.
- **المجال المستهدف (المجرد):** الفصاحة، العلم، الحكمة.

الشواهد والنماذج:

- **وصف الخطيب المصقع (البليغ):** يُقال في نصوص الجاحظ: **"فاضت خطبته"**، أو **"بحرٌ لا يُنزَف"**، أو **"تدفق كلامه"**.[1]
- **خطبة لعمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب (مما رواه في الجزء الثاني):**

''إن الحكمة لَتَجِيشُ في صدر الرجل حتى يلفظ بها.'' [2]

- **التحليل المعرفي:** تصوير الصدر كأنه مرجل أو قدر يغلي بالماء (الحكمة) من شدة امتلائه، ثم يفيض على اللسان. العلم هنا سائل متحرك، والجهل جفاف وعطش.

ثامنا: استعارة: العقل والحجّة سلاحٌ أو قاطع

عند مقارعة الخصوم في المحاورات والخطب السياسية والدينية (التي يغص بها الجزء الثاني من الكتاب)، تتحول الحجة من فكرة ذهنية إلى أداة مادية حادة.

- **المجال المصدر (المحسوس):** السيف، السهم، القطع، الصقل.
- **المجال المستهدف (المجرد):** الحجة البلاغية، العقل، الرد المفحم.

الشواهد والنماذج:

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 12.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين ج2، ص، 19.

- **قولهم في وصف جواب مفحم: "أقطع من السيف"**، أو **"رماه بحجةٍ فالقِدّ"**.[1]

- **أثر البيان في الصدور**: يروي الجاحظ قول أحد البلغاء:

''الكلام ينفذ حيث لا تنفذ السهام.'' [2]

- **التحليل المعرفي**: هذه الاستعارة النسقية تعامل ''الكلمات'' كـ''مقذوفات حربية'' تخترق وعي الخصم وتقتله معنوياً. لذلك يُسمى اللسان السليط بـ ''المِصلت'' (أي السيف المشهور).

تاسعا: استعارة: السلطة والسياسة قِيادة دابّة (الرعي)

في نماذج العهود والوصايا للملوك والولاة المذكورة في الجزء الثاني، تتجلى هذه الاستعارة بشكل لافت لتوضيح العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الرعي، الزمام، الخطام، ترويض الدواب.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: سياسة الرعية، تدبير الملك، طاعة الرعية.

الشواهد والنماذج:

- **في وصايا الحكماء للولاة: "اقتدِ الرعية بسَلسِ الزمام"** و''لا تشدّد عليها الخطام فتقطع أنوفها''.[3]

- **التحليل المعرفي**: يُختزل المفهوم المعقد ''لإدارة الدولة والسياسة'' في الخبرة البدوية اليومية المألوفة وهي ''ترويض الدابة وسياستها''. اللين في الزمام يعني اللين في الحكم، وجذب الخطام بعنف يعني الاستبداد الذي يولد الانفجار.

عاشرا: استعارة: العِرْق / النَّسَب شجرةٌ أو نبات

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الشجرة، الجذور (العروق)، الأغصان، الثمار.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: الأصول القبلية، الحسب والنسب، الأخلاق المورثة.

النص والشاهد:

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 47.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 54.

[3] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، 2، ص، 168.

- **جاء في الجزء الأول في باب مستحسن الكلام ومحموده، وصفاً لرجل شريف الحسب: "فلانٌ كريم المَغْرِس، زَكيّ النَّبْت، طابت عروقه فحَلُت ثمرته، ولم تختلف أغصانه."**[1]

- **التحليل المعرفي:** يُفهم المفهوم المجرد ''القرابة والوراثة الجينية والأخلاقية'' من خلال بنية ''النبات''. فالأجداد هم الجذور (العروق)، والبيئة الأسرية هي (المغرس)، والأبناء هم (الأغصان والثمار)، مما يرسخ فكرة أن الأخلاق الطيبة نتيجة طبيعية لأصل طيب.

حادي عشر: استعارة: الحِقْد / الغضب نارٌ ومِرجَل يغلي

- **المجال المصدر (المحسوس):** النار، الاشتعال، الغليان، الحرق.

- **المجال المستهدف (المجرد):** المشاعر الإنسانية السلبية (العداوة، الغضب، الحقد).

النص والشاهد:

- **في معرض الحديث عن الخصومات والطبائع البشرية في الجزء الثاني، يورد الجاحظ: "ودخل فلانٌ على الأمير وصدره يغلي مراجل، وقد أوقدت الحفيظةُ في قلبه ناراً لا يطفئها لينُ الكلام."**[2]

- **التحليل المعرفي:** المشاعر باطنية مجردة لا تُرى، ويتم إدراكها معرفياً هنا عبر نسق [المشاعر = نار/حرارة]. الصدر يتحول إلى وعاء مغلق (مِرجَل) يغلي، والغضب هو الوقود، والنتيجة المتوقعة هي الانفجار أو الاحتراق المعنوي، وهي استعارة جسدية (Embodied Metaphor) شائعة.

ثاني عشر: استعارة: الجَهْل / العِيّ سِجْنٌ أو قيْد

- **المجال المصدر (المحسوس):** القيود، الأغلال، السجن، العجز عن الحركة.

- **المجال المستهدف (المجرد):** عدم القدرة على التعبير، الجهل، العِيّ البلاغي.

النص والشاهد:

- **يقول الجاحظ في وصف حصر الخطيب وعجزه عن الكلام (العِيّ): "إذا اعتصبت الشبهةُ على اللسان، وانغلق باب الصواب، صار المتكلم في إسارِ حَصَرِه، وأُوثِق بقيدِ عِيّه."**[3]

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 198.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 95.

[3] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 81.

- **التحليل المعرفي:** العجز عن النطق أو الجهل بالجواب فكرة ذهنية، لكن العقل يجسدها في صورة ''مادية'' مخيفة وهي الأسر والقيد المادي. اللسان يصبح سجيناً، والجهل بالحجة هو الحبل أو القيد الذي يمنعه من الحركة والبيان.

ثالث عشر: استعارة: الموت / المصيبة سهمٌ طائش

- **المجال المصدر (المحسوس):** السهام، القوس، الرمي، الهدف المادي.
- **المجال المستهدف (المجرد):** القدر، الموت المفاجئ، كوارث الدهر.

النص والشاهد:

- **في عيون الخطب والمواعظ والتعازي في الجزء الثاني: "إن الدهر غرضٌ تنتابه السهام، والموت رشقٌ لا يخطئ الهدف، فنحن نتقلب في دريئة المَنايا."**[1]
- **التحليل المعرفي:** يُنقل مفهوم ''الموت المفاجئ والقدر'' من فضائه الغيبي المجرد إلى تجربة حية ومحسوسة في البيئة العربية وهي ''الصيد أو الحرب بالسهام''. الإنسان هو (الدريئة/الهدف الثابت)، والموت هو (الرامي)، والمصائب هي (السهام)، وهي بنيوية استعارية لتفسير حتمية الفناء.

رابع عشر: استعارة: المَوَدّة / العَلاقَات الاجْتِمَاعِيّة حَبْلٌ مَادِي

- **المجال المصدر (المحسوس):** الحبال، العقد، الشد، الوصل، القطع.
- **المجال المستهدف (المجرد):** العلاقات الإنسانية، المودة، الصداقة، العهود.

النص والشاهد:

- **ينقل الجاحظ في الجزء الأول ضمن وصايا العرب ومأثور كلامهم في التعامل مع الإخوان: "إذا رغبت في صرمِ أخيك، فاستبقِ له من نفسك بقيةً يرجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما، ولا تقطع حبل ودّه بتاتاً."**[2]
- **التحليل المعرفي:** يُدرك العقل البشري مفهوم ''المودة والصداقة'' المعنوي من خلال تمثيله بحبل يربط بين شخصين. بناءً على هذا النسق، تصبح المحافظة على الصديق ''وصلاً وتوثيقاً للعقدة''، والخصومة ''قطعاً أو صرماً'' للحبل المادي.

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 304.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 311.

خامس عشر: استعارة: العُمُر / الزَّمَن طَرِيقٌ رِحْلَة ومَسَافَة

- **المجال المصدر (المحسوس)**: السير، السفر، قطع المسافات، المحطات.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: حياة الإنسان، مرور السنين، التقدم في السن.

النص والشاهد:

- **مما أورده الجاحظ من مواعظ وخطب الزهاد في ذم الدنيا والتحذير من الغفلة: "أيها الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا ركبٌ وقوف، يسار بكم وأنت نيام، وقد قطعتم شطراً من مسافتكم، فما بقاءُ من يقترب من غايته كل يومٍ فرسخاً؟"**[1]
- **التحليل المعرفي**: تخضع هذه البنية المعرفية لنسق استعاري شهير وهو [الحياة رحلة / العمر مسافة]. يُصوّر الإنسان كمسافر (راكب) على دابة، والزمن هو الطريق الذي يُقطع حسياً (فرسخاً فرسخاً)، والموت هو الغاية أو المحطة الأخيرة، مما يسهل تمثل تيار الزمن غير المرئي.

سادس عشر: استعارة: الهَوَى / الشَّهْوَة دَابَّةٌ جَامِحَة

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الخيل الجموح، الانفلات، السقوط، فقدان السيطرة.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: الرغبات النفسية، اتباع الهوى، ضعف الإرادة.

النص والشاهد:

- **جاء في كتاب الجاحظ في باب مدح العقل ومقاومة الشهوات: "مَن أطلق لهواه عِنانَه، وقاده ورادُ شهوته، صرعه في مهواةِ الردى، ولم يملك من أمره رشداً."**[2]
- **التحليل المعرفي**: النفس البشرية ورغباتها (الهوى) تجريد سيكولوجي معقد. يسقط العقل العربي هنا خصائص ''الدابة أو الحصان الهائج'' على هذا المفهوم. الانقياد للهوى يُمثل بـ''إطلاق العنان''، والوقوع في الخطأ يُمثل بـ''الصرع والسقوط'' الجسدي المؤلم.

سابع عشر: استعارة: البَلاغَة / الخِطَابَة مِضْمَارُ سِبَاق

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الحلبة، السباق، الخيل السريعة، الغاية، السَّبْق.

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 163.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 174.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: التنافس البلاغي، تفوق خطيب على آخر.

النص والشاهد:

- **في معرض موازنة الجاحظ بين طبقات البلغاء وقدراتهم في الارتجال: "وليس كلّ مَن جرى في البلاغة أحرز السَّبْق، فالكلام مضمارٌ تظهر فيه جياد العقول، وتنكص فيه اللِّحاظ."**[1]

- **التحليل المعرفي**: يُترجم التميز اللغوي والفوقية الأدبية من فضاء التقييم الفكري إلى فضاء الحركة المادية. الخُطباء هم (الخيول الجياد)، واللغة هي (المضمار/الحلبة)، والتفوق البلاغي يتم إدراكه بوصفه "حيازة لقصب السبق" أو الوصول أولاً.

ثامن عشر: استعارة: التَّكَبُّر / الغُرُور وَرَمٌ جَسَدِيّ

- **المجال المصدر (المحسوس)**: المرض، الانتفاخ، النتوء، العلة الجسدية.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: الكبرياء الزائف، التعالي الاجتماعي، الغرور.

النص والشاهد:

- **في ذم بعض الولاة والخطباء الذين يدخلهم الزهو عند اعتلاء المنبر، ينقل الجاحظ: "فدخل عليه ورمُ المُلْك، وانتفخ أخدعاه بكبرياء السلطان حتى كأنه يرى الناس ذباباً."**[2]

- **التحليل المعرفي**: يُعامل "الكبر" وهو تشوه سلوكي ونفسي، كأنه "تشوه جسدي مرضي" (الورم والانتفاخ). يعتمد هذا النسق على إدراك مادي: المتكبر يرفع رأسه وجسده حقيقة، فكأن مشاعره الداخلية نفخت بدنه فيزيائياً، وهو إسقاط حسي يربط التجربة الجسدية بالمفهوم الأخلاقي.

تاسع عشر: استعارة: السِّرُّ مَادَّةٌ مَخْزُونَةٌ فِي وِعَاء

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الوعاء، القفل، المتاع الثمين، الدفن، التسرب.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: الأفكار الخاصة، الأسرار، الكتمان.

النص والشاهد:

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 138.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 249.

- **ينقل الجاحظ في الجزء الأول ضمن محاسن حفظ اللسان وكتمان الأخبار: "صدور الأحرار قبور الأسرار، ومَن ضاق سرّه بوِعائه، فصِدرُ غيره به أضيق."**[1]

- **التحليل المعرفي:** يُفهم ''السر'' (وهو معلومة ذهنية) بوصفه ''مادة مادية ثقيلة أو كنزاً'' يُحفظ داخل ''وعاء أو قبر'' (وهو الصدر). وبناءً على هذا النسق، فإن إفشاء السر يُعامل فيزيائياً كعجز الوعاء عن استيعاب حجم المادة، مما يؤدي إلى طفحانها أو تسربها.

العشرون: استعارة: الحَسَدُ نَارٌ تَأْكُلُ صَاحِبَهَا

- **المجال المصدر (المحسوس):** النار، التآكل الفيزيائي، الوقود، الفناء.

- **المجال المستهدف (المجرد):** انفعال السخط النفسي، الحسد الباطني.

النص والشاهد:

- **يورد الجاحظ في باب ذم طبائع النفس الدنيئة وأمراض القلوب: "لله دَرُّ الحَسَدِ مَا أَعْدَلَهُ! بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ، إن الحقد والحسد لَآكِلَانِ لِصَاحِبِهِمَا كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ."**[2]

- **التحليل المعرفي:** الحسد تجريد شعوري نفسي، غير أن العقل الإنساني يعجز عن تصوره ساكناً، فينقله إلى نموذج [المرض/الآكل]. الصاحب الحاسد هو ''الوقود'' (الحطب)، والانفعال الداخلي هو ''النار''، والنتيجة المعرفية المستخلصة هي أن الحسد لا يتعدى ضرره إلى المحسود أولاً، بل يفني ذات صاحبه مادياً كالنار تماماً.

الحادي والعشرون: استعارة: الرَّأْيُ / النَّصِيحَةُ نَسِيجٌ أَوْ ثَوْبٌ يُفَصَّل

- **المجال المصدر (المحسوس):** الغزل، النسيج، التفكيك، الحياكة، الملاءمة.

- **المجال المستهدف (المجرد):** التدبير السياسي، المشورة، الرأي الذهني.

النص والشاهد:

- **جاء في الجزء الثاني عند حديث الجاحظ عن وصايا الدهاة والأشراف في تدبير الحروب: "فلانٌ غَزْلُهُ رَقِيقٌ في الحروب، وإذا أبرم رأياً لم يستطع أحدٌ نقضه، وإذا سداه لم يقدر خصمٌ على لحمِه."**[1]

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 219.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 342.

- **التحليل المعرفي**: تستعير هذه البنية مصطلحات صناعة الثياب العربية القديمة (السَّدَى واللُّحْمَة، والإبرام والنقض) لتطبيقها على ''الفكرة أو الخطة العسكرية''. التدبير المحكم يصبح ''نسيجاً متلاحماً'' يصعب تفتيت خيوطه، بينما تدبير العدو الواهن يُنظر إليه كـ''خيوط واهية منقوضة''.

الثاني والعشرون: استعارة: المَالُ / الثَّرْوَةُ طَائِرٌ يَطِير

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الأجنحة، الطيران، الفرار، القفص، القص.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: حركة الأموال، الكسب والإنفاق، زوال النعمة.

النص والشاهد:

- **في معرض الحديث عن الجود والإنفاق وسلوك الأجواد في الجاهلية والإسلام: "إنّ المال طائرٌ ذو جناحين، إن لم تقصص جناحيه بالمعروف والإمساك، طار عنك ولم يَعُد إلى وكرك."**[2]
- **التحليل المعرفي**: يُعالج المفهوم الاقتصادي المتغير (المال والسيولة) عبر إسقاط خصائص ''الحيوان الطائر'' عليه. عدم التحكم في المصاريف يعادل معرفياً ''تحرير الطائر ليطير''، والادخار وضبط الميزانية هو ''قص الجناحين''، وهي استعارة تهدف لتجسيد سرعة تقلب الحالات المادية.

الثالث والعشرون: استعارة: الذِّلَّةُ / الهَوَانُ كِسَاءٌ أَوْ وِسَامٌ مَادِّي

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الملابس، الارتداء، التغطية، الغبار اللامس للجسد.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: المرتبة الاجتماعية المتدنية، الشعور بالهوان والخضوع.

النص والشاهد:

- **يروي الجاحظ من خطب الذم والتحذير من التقاعس عن نصرة الحق في الجزء الثاني: "مَن ترك الجهاد ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله بلاء العجز، وسِيمَ الخَسْفَ في عقر داره."**[3]

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 118.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 276.

[3] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 53.

- **التحليل المعرفي:** الذل شعور وفقدان للمكانة المعنوية، ولكي يتصوره الوعي البشري بعمق، يتم تحويله إلى [لباس مادي] يحيط بالجسد كاملاً ويغطيه (ألبسه ثوب الذل). هذا الإسقاط الحسي يفيد بأن الهوان يصبح صفة ملاصقة وظاهرة للعيان لا يستطيع الإنسان الانفكاك منها كالثوب المقترن بالبدن.

الرابع والعشرون: استعارة: البَيَانُ بِنَاءٌ وَحِصْنٌ حَامٍ

- **المجال المصدر (المحسوس):** البناء، الأسيجة، الجدران، الحماية المادية.
- **المجال المستهدف (المجرد):** البيان، الفصاحة، أثره المعنوي في الدين والدنيا.

النص والشاهد:

- **البيان اللماح نِعمَ العونُ على الدين، ونعمَ المرفق في الدنيا، ونِعمَ السِّياجُ على الجوارح.**[1]
- **التحليل المعرفي:** شبّه الجاحظ "البيان" (وهو مفهوم مجرد) بـ"السياج" (وهو كائن مادي يحمي ويحيط). المجال المصدر هو البناء والحماية، والمجال الهدف هو البيان وأثره المعنوي.

الخامس والعشرون: استعارة: اللِّسَانُ سِلَاحٌ قَاطِعٌ

- **المجال المصدر (المحسوس):** السيف، الشحذ، القطع، الأسلحة الحادة.
- **المجال المستهدف (المجرد):** الفصاحة، قوة الحجة، الخطابة.

النص والشاهد:

- **وقالوا: لسانُ الفصيح قاطع، وكلامه حاد، وشحذَ فلانٌ لسانَه إذا أقبلَ على خصمِهِ.**[2]
- **التحليل المعرفي:** يُدرَك اللسانُ (أداة النطق) والكلام هنا عبر مفهوم "السيف" أو "السكين"، فالشحذ والقطع صفتان ماديتان نُقلتا إلى المعنوي للدلالة على قوة الحجة والخطابة.

السادس والعشرون: استعارة: اللَّحْنُ مَرَضٌ وَعَاهَةٌ جَسَدِيَّة

- **المجال المصدر (المحسوس):** الجدري، الكسر، الأمراض والعاهات الجسدية.

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 77.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 105.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: الخطأ اللغوي، اللحن في الكلام.

النص والشاهد:

- **كان يُقال: اللحنُ في الكلام أقبحُ من الجُدَريّ في الوجه، ومن الكَسْرِ في الرِّجْل.**[1]

- **التحليل المعرفي:** جُسِّد الخطأ اللغوي (اللحن) بصورة المرض الجلدي (الجدري) أو العاهة الفيزيائية (الكسر)، لإبراز مدى القبح والتشويه الذي يصيب المادة الصوتية المعنوية.

السابع والعشرون: استعارة: العِلْمُ وَالبَيَانُ طَعَامٌ يُذَاق

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الطعم، الحلاوة، التذوق، الطعام.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: العلم، المعاني، الأفكار.

النص والشاهد:

- **إنّ للبيان حلاوة، وإنّ للعلم طعماً، ولا يزال المرءُ يتطعمُ المعاني حتى يَمَجَّ الفاسد.**[2]

- **التحليل المعرفي:** نُقِلت تجربة "التذوق الحسي" من مجال الطعام والشراب إلى مجال العلم والأفكار، فالمعاني تُتَطَعّم (تُستساغ) أو تُمَجّ (تُلفظ).

الثامن والعشرون: استعارة: القَلْبُ وِعَاءٌ مُغْلَق

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الوعاء، القفل، المفتاح.

- **المجال المستهدف (المجرد)**: القلب، الأسرار، كتمانها وإفشاؤها.

النص والشاهد:

- **القلوبُ أوعيةٌ، والشفاهُ أقفالُها، والألسنةُ مفاتيحُها، فليحفظْ كلُّ امرئٍ مفتاحَ سِرِّه.**[3]

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 112.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 142.
[3] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 184.

- **التحليل المعرفي**: استعارة بنيوية متكاملة: القلب = وعاء، الشفاه = قفل مادي، اللسان = مفتاح، والهدف تصوير كيفية كتمان الأسرار وإفشائها عبر آليات فيزيائية ملموسة.

التاسع والعشرون: استعارة: العِلْمُ صَيْدٌ يُقَيَّدُ بِالكِتَابَة

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الصيد، الحيوانات الشاردة، الحبال والقيود.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: العلم، الخواطر، المعلومات المعنوية.

النص والشاهد:

- **العلمُ صَيدٌ والكتابةُ قَيْدُهُ، قَيِّدْ صُيُودَكَ بالحِبالِ الواثقَة.**[1]
- **التحليل المعرفي**: المجال المصدر هو الصيد والحيوانات الشاردة، والمجال الهدف هو الخواطر والمعلومات المعنوية، فالكتابة هي الحبل الفيزيائي الذي يمنع الفكرة من الهروب (النسيان).

الثلاثون: استعارة: الخِطَابَةُ ثَوْبٌ يُرْتَدَى

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الملابس، النسيج، اللباس، الديباج.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: الكلام، الخطابة، حجج الخطيب.

النص والشاهد:

- **فإذا لبسَ الخطيبُ كلامَهُ، وظاهَرَ بين حُجَجِهِ، رأيتَ عليه دِيباجَ اللفظِ وعِزّةَ الموقف.**[2]
- **التحليل المعرفي**: يُنظر إلى الكلام هنا كلباس أو ثوب (ديباج) يرتديه الخطيب ليستر به عيوب موقفه أو ليتجمل به، والمجال المصدر هو المنسوجات والملابس.

الحادي والثلاثون: استعارة: المُنَاظَرَةُ مَعْرَكَةٌ حَرْبِيَّة

- **المجال المصدر (المحسوس)**: الميدان، السلاح، الغارة، الحصون.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: المناظرة الفكرية، الخصومة الكلامية.

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج1، ص، 211.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 11.

النص والشاهد:

- **ودخلَ فلانٌ الميدانَ بغيرِ سِلاح، وشنَّ غارةً بالحُججِ حتى هدمَ حِصْنَ خَصمِه.**[1]

- **التحليل المعرفي:** تُدرَك المناظرة الفكرية والكلامية هنا كلياً عبر مصطلحات الحرب (ميدان، سلاح، غارة، هدم الحصن)، وهذا تجسيد تام لاستعارة "النقاش حرب".

الثاني والثلاثون: استعارة: الكَلَامُ الجَيِّدُ مَاءٌ عَذْبٌ جَارٍ

- **المجال المصدر (المحسوس):** الماء، العذوبة، الجريان، السيولة.

- **المجال المستهدف (المجرد):** الألفاظ، الفصاحة، سهولة الفهم.

النص والشاهد:

- **كلامُهُ يتدفقُ عذوبةً، وألفاظُهُ سَلِسَةٌ جاريةٌ في الحلقِ جَرْيَ الماءِ الزُّلال.**[2]

- **التحليل المعرفي:** نُقِل مفهوم "السيولة والعذوبة" من السوائل والمياه إلى الألفاظ الصوتية المعنوية لتصوير سهولة الفهم وعدم وجود تعقيد لفظي (الاسترسال).

الثالث والثلاثون: استعارة: الطِّبَاعُ وَالِانفِعَالُ دَابَّةٌ يُتَحَكَّمُ فِي عِنَانِهَا

- **المجال المصدر (المحسوس):** العنان، الخطام، العقد، الدواب.

- **المجال المستهدف (المجرد):** الضبط النفسي، الأخلاق، الغضب.

النص والشاهد:

- **إنّ فلاناً مَرخِيُّ العِنان، مَحلولُ العُقَد، لا يملكُ خِطامَ نفسِه عند الغضب.**[3]

- **التحليل المعرفي:** تُدرَك الحالة النفسية والأخلاقية (الضبط النفسي) من خلال التحكم في الدواب (العنان، الخطام، العقد)، وغياب السيطرة على النفس يُصوَّر كدابة فلتت من عقالها.

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 43.

[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 92.

[3] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 175.

الرابع والثلاثون: استعارة: العُمْرُ مَسَافَةٌ أَوْ طَرِيقٌ يَنْتَهِي

- **المجال المصدر (المحسوس)**: المسافة، العقبات، المضمار، خط النهاية.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: الزمن، العمر، الحياة.

النص والشاهد:

- **وقد قطعنا من العُمرِ عقباتٍ، وأشرفنا على نهايةِ المِضمار، ولم يبقَ إلا ذَماءٌ قليل.**[1]
- **التحليل المعرفي**: استعارة اتجاهية وزمنية مألوفة، حيث يُقاس الزمن (العمر المجرد) بالمسافة المكانية المقطوعة (العقبات، المضمار) والوصول إلى خط النهاية.

الخامس والثلاثون: استعارة: الهَوَى مُصَارِعٌ وَصَائِدٌ مُفْتَرِس

- **المجال المصدر (المحسوس)**: المصارعة، الصيد، الحبائل، الفرس العاثر.
- **المجال المستهدف (المجرد)**: الهوى، الشهوة، ضعف الإنسان أمامها.

النص والشاهد:

- **صَرَعَهُ هواه، ووقعَ في حبائلِ شهوتِهِ، فكان كالفرسِ الردي المَعثور.**[2]
- **التحليل المعرفي**: جُعِل "الهوى" مصارعاً أو صائداً يملك "حبائل" (شباك)، وجُعِل الإنسان ضحية تُصرَع فيزيائياً وتتعثر كالفرس.

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 213.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، ص، 301.

خلاصة

كشفت الدراسة في هذا الفصل عن بعض الجوانب العرفانية في النحو العربي، حيث اتّضح مثلا أن مقولة الأصل والفرع في النحو العربي تقوم على أساس عرفاني؛ إذ تعتمد مبدأ الاسترسال بين كلّ أصل وفروعه، وهذا الاسترسال لا يقتصر على مقولة القسم الواحد من الكلام، بل يمتدّ ليشمل كل الأقسام (الاسم والفعل والحرف)؛ وهذا ما يجعل منها كيانات مرتبطة ببعضها البعض من خلال عمليات نحويّة استرساليّة.

كما كشفت الدراسة عن إمكانية دراسة ما هو نحوي عربي بمباحث عرفانية؛ وهذا ما تأكّد من خلال دراسة كلّ من ظاهرة "التقديم والتأخير"، وظاهرة "الحذف والتقدير" بإجراء عرفانيّ تمثّل في الخطاطة الذهنيّة، حيث اتّضح أنّنا نُقدّم ونُؤخّر الكلام وحتّى نحذفه ونُقدّره بطريقة خُطاطيّة.

خاتمة

تبين من خلال هذه الدراسة أن الاستعارة المفهومية ليست مجرد وسيلة بلاغية للتزيين، بل تمثل آلية معرفية تسهم في بناء المعنى وتنظيم الفكر، وهو ما تؤكده اللسانيات العرفانية الحديثة. وقد أظهر تحليل النصوص المختارة من كتاب البيان والتبيين أن الجاحظ اعتمد على صور واستعارات تنبع من التجربة الإنسانية، فجعلها وسيلة لتقريب المعاني المجردة وتوضيحها، بما يعكس عمق نظرته إلى اللغة ووظيفتها في التعبير والتأثير.

كما كشفت الدراسة عن حضور عدد من البنيات التصورية التي أسهمت في تشكيل الدلالة داخل الخطاب الجاحظي، الأمر الذي يدل على أن الاستعارة في كتاب البيان والتبيين تؤدي وظيفة معرفية ودلالية، إلى جانب وظيفتها البلاغية. وقد أثبتت النتائج كذلك وجود نقاط التقاء بين التراث البلاغي العربي، ممثلاً في فكر الجاحظ، وبين ما انتهت إليه الدراسات اللسانية العرفانية المعاصرة في فهم الاستعارة بوصفها نمطًا من أنماط التفكير والإدراك.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن كتاب البيان والتبيين يظل من أهم المصادر التراثية التي تثري الدراسات اللسانية والدلالية، وتفتح آفاقًا جديدة لإعادة قراءة التراث العربي في ضوء المناهج اللسانية الحديثة.

وتوصي هذه الدراسة بتوسيع البحث في الاستعارة المفهومية في مؤلفات تراثية أخرى، للكشف عن الأبعاد المعرفية والدلالية الكامنة في الخطاب العربي القديم، وإبراز قيمته العلمية في ضوء المناهج المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم وتفاسيره**

- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار ابن حزم، ج1، طبعة جديدة ومنقحة، لبنان، 2000.

اولا: المعاجم والقاموس

- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة نبير عجر، مج1، عالم الكتب، ط1، مصر، 2008.
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: هلالي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 2001.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد ناعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 2005.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1979.
- لويس معلوف، المنجد (معجم مدرسي للغة العربية)، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ط9، لبنان، 1937.
- محمد مسير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ط1، لبنان.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.
- موفق دعبول وآخرون، معجم مصطلحات الرياضيات، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، سوريا، 2008.

ثانيا: الكتب

- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط, 2010.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومجد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، مصر، 1952.
- أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة.
- أحمد موسى، اللسانيات: النشأة والتطور.

- الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية.
- الأزهر الزناد، اللغة والجسد.
- الأزهر الزناد، النص والخطاب.
- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية.
- أميرة جنيس، المزج التصوري.
- ابن البناء المراكشي، الروض المربع في صناعة البديع، تحقيق: رضوان بن شقرون، دار النشر المغربية، ط1، المغرب، 1985.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
- الجرجاني، أسرار البلاغة.
- الجرجاني، التعريفات.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2003.
- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3.
- الزمخشري، المفصل في النحو، دار صادر، طبعة محدودة، لبنان، 2023.
- ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين فتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1988.
- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، 1987.
- السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية.
- السيوطي، شرح العقود في المعاني والبيان، تحقيق: إبراهيم محمد الحمداني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
- المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ج1، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د.ط، 1994.
- توفيق قريرة، الاسترسال ووهن الثنائيات.
- توفيق قريرة، الاسم والاسمية والإسماء.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ج1، دار الكتب المصرية، مصر، د.ط، د.ت.
- جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة.
- جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها.
- حامد خلف الربيعي، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء.
- حسن قميصة، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي.
- رونالد لانقاكر، مدخل إلى النحو العرفاني.
- زهدي جار الله، المعتزلة.
- شارل بيال، الجاحظ في البصرة وبغداد.
- صفي الدين محمد، الإدراكيات.
- طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي.
- عبد الجبار بن غربية، مدخل إلى النحو العرفاني.
- عبد الرحمن حسن الميداني، البلاغة العربية.

- عبد الرحمن طعمة، اللغة والمعنى والتواصل.
- عبد الرحمن مجيد محمود، اللسانيات المعرفية.
- عبد العزيز عتيق، علم البيان.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني.
- عبده الراجحي، التطبيق النحوي.
- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية.
- عطية سليمان أحمد، الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية.
- علي أبو الكمال، أصول التفكير النحوي.
- علي أبو الكمال، الحذف والتقدير في النحو العربي.
- علي بوماحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ.
- علي ملهي اليامني، الفكر النحوي عند العرب.
- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط1.
- مارك تيرنر، مدخل في نظرية المزج.
- محمد الولي، فضاءات الاستعارة وتشكلاتها.
- محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد.
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث.
- مصطفى بيطام، نظام المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي الأول / مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول.
- نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصل استخدامها.
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2.
- ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، تصحيح وتعليق: حواشي نفيسة، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت.

ثالثا: المقالات والمنشورات العلمية

- عمر بن دحمان، البلاغة المعرفية عند مارك تيرنر: الذهن الأدبي والمزج التصوري، مجلة الخطاب، الجزائر، مج16، ع2.
- عمر بن دحمان، بعض من مشاريع البلاغة المعرفية "مارك تيرنر" نموذجاً، مجلة الخطاب، الجزائر، ج11، ع21، 2016، ص112–117.
- عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي.

رابعا: الرسائل والأطاريح

- أحمد حرجي، التقديم والتأخير عند النحاة وشواهدهما من القرآن الكريم، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، الجزائر، 1993.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	**4**
مقدمة	
المدخل: العلوم العرفانية واللسانيات العرفانية	**9**
(مدخل مفاهيمي)	9
توطئة	10
أولا: مفاهيم اللسانيات العرفانية	10
1- اللسانيات: (اللسان)	10
2- العرفانية: لغة	12
ثانيا: ترجمة اللسانيات العرفانية	12
ثالثا: بدايات اللسانيات العرفانية	14
رابعا: النشأة والتطور	21
خامسا: علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى	23
سادسا: مبادئها	25
سابعا: نظريات ومفاهيم اللسانيات العرفانية	26
الخلاصة	28
الفصل الأول: الاستعارة المفهومية بين الدلالة والعرفان	**29**
I- علم الدلالة عند العرب	30
2- ظهور مصطلح علم الدلالة	33
3- أهم المباحث الدلالية	41
تمهيد	42
المبحث الأول: الاستعارة في الفكر البلاغي القديم	42
I- مفهوم الاستعارة عند العرب	42
I- مفهوم الاستعارة التصويرية وأقسامها عند البلاغيين العرب	47
I- الاستعارة عن البلاغيين العرب	48
II- تقسيمات الاستعارة لدى العرب القدامى	51
II- الاستعارة عند الغرب	52

الموضوع	الصفحة
2- النظريات الحديثة للاستعارة	54
2-1- النظرية الاستبدالية	54
2-2- النظرية التفاعلية	56
2-3 النظرية السياقية	61
2-4 النظرية التداولية	62
1- الاستعارة الجمهورية	65
2- الاستعارة الشعرية	65
3- الاستعارة الحجاجية	65
II- أنواع الاستعارات التصورية (Conceptual Metaphor)	67
أ- الاستعارات البنيوية (Structural Metaphors)	67
ب- الاستعارات الاتجاهية (Orientational Metaphors)	67
ج- الاستعارة الانطولوجية (Ontological Metaphors)	67
الخلاصة	70
توطئة	72
الفصل الثاني: تجليات الاستعارة المفهومية في كتاب البيان والتبيين للجزأين الاول والثاني	**72**
اولا: الحياة الفكرية للجاحظ	78
أ- أسلوب الجاحظ	80
ثانيا: تعريف البيان والتبيين للجاحظ	82
ثالثا: نماذج مختارة للإستعارة المفهومية في كتاب البيان والتبيين للجزأين الاول والثاني	**98**
خلاصة	128
خاتمة	**166**
قائمة المصادر والمراجع	**167**
فهرس المحتويات	**168**
ملخص المذكرة	**173**

ملخص المذكرة

تهدف الدراسة المعنونة بـ: "**الاستعارة المفهومية** في مؤلفات **الجاحظ كتاب البيان والتبيين** نموذجاً" إلى بيان أسبقية البحث اللغوي في مجال التعليمية وبيان ملامحها من خلال **كتاب البيان والتبيين للجاحظ**، وجاءت خطة البحث في فصلين؛ تناولت في الفصل الأول مصطلحات الدراسة ومفاهيمها، وفي الفصل الثاني المهارات اللغوية في مجال التعليمية، كتحليل الأخطاء، والظواهر اللغوية وطرائق التدريس، إضافة إلى التداخل اللغوي والاقتراض اللغوي، والثنائية اللغوية.

كما اعتمدت المنهج الوصفي واستعنت بالتحليل في تفسير الظواهر اللغوية، وربطت ذلك بالدرس اللغوي الحديث، وبيان أهميتها في الأخير.

وخلصت هذه الدراسة في الأخير إلى إثبات أسبقية الظواهر اللغوية المتعلقة بالتعليمية في الفكر العربي القديم، وبالضبط عند الجاحظ في **البيان والتبيين**.

الكلمات المفتاحية :الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، الاستعارة المفهومية،

Abstract

This study, entitled **"Conceptual Metaphor in Al-Jahiz's Works: *Al-Bayan wa Al-Tabyin* as a Model,"** aims to demonstrate the precedence of Arabic linguistic thought in the field of language education and to identify its features through Al-Jahiz's *Al-Bayan wa Al-Tabyin*. The research is divided into two chapters. The first chapter discusses the terminology and concepts of the study, while the second chapter examines language skills in the field of language education, including error analysis, linguistic phenomena, teaching methods, language interference, lexical borrowing, and bilingualism.

The study adopts the descriptive approach and employs analytical methods to interpret linguistic phenomena, relating them to modern linguistic studies and highlighting their significance.

The study concludes by confirming the precedence of linguistic phenomena related to language education in classical Arabic linguistic thought, particularly in Al-Jahiz's *Al-Bayan wa Al-Tabyin*.

Keywords: Al-Jahiz, *Al-Bayan wa Al-Tabyin*, Conceptual Metaphor.